مشاهير وظرفاء القرن العشرين

حكايات نوادر طرائف

إعداد وتوثيق

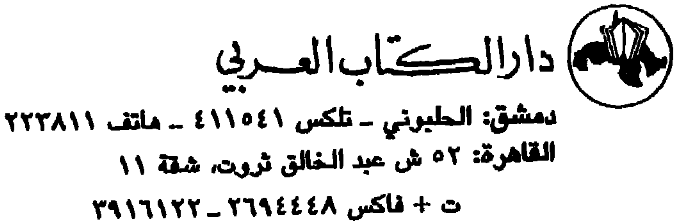
هاني الخير



دمشق - القاهرة

الطبعة الأولى

١٩٩٣



دمشق: الحلبوني - تلكس ٤١١٥٤١ - هاتف ٢٢٣٨١١
القاهرة: ٥٢ ش عبد الخالق ثروت، شقة ١١
ت + فاكس ٢٦٩٤٤٤٨ - ٣٩١٦١٢٢

الإهـــــداء

إلى القراء الذين يتـابعـون كتاباتي دون أن أعرفهم ..

فكـان تشجيعهم غير المحدود . قوة هائلـة جعلتني أتابع رحلتي مع الكلمة المسؤولة .

هاني

تمهيـــد

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب الذي أضعه بين أيدي القراء العرب في كل مكان ، جاء نتيجة عمـل سنوات ، في اصطيـاد الحكـايات الشـائقـة ، وجمع المفارقات والنوادر والطرائف الأدبيـة التي تخدم فكرة الكتـاب ، وإجراء المقابلات الصحفية مع بعض « الأعلام » الذين قابلتهم خلال عملي في بلاط صاحبة الجلالة خلال العقدين الأخيرين ... ومن ثم غربلة ما جمعته من بطون الكتب والمجلات من أجل تحري الدقة .. والتزام الموضوعية .. وإسعاد القارئ الكريم .

وهنا أودّ أن أشير إلى أن المعلومات والإضاءات التي وردت في الكتاب ، تكشف عن عشرات الجوانب الحياتية والسلوكية المجهولة ، من حياة كوكبة من الأدباء والمشاهير والظرفاء في القرن العشرين ... دون التركيز على الناحية النقدية أو الأدبيـة ــ إلّا عندما تستدعي الضرورة ــ . وبعبـارة ثانيـة ... فإن هذه الحكـايات والموضـوعات ليست تحليلاً علمياً ، وليست بحثاً منهجياً في مجال النقد ، إنما هي لقطات إنسانية مستمدة من صميم الحياة ، وهي تموج بالحركة والصخب ، والقلق الوجودي المخيف ، وتنبض بالدفء والصدق والحنان ...

وكلي ثقة أن يحظى كتابي باستقبال طيب من الأخوة القراء ، الذين يتابعون إصداراتي (بعين الرضا) في حالات كثيرة ...

والله الموفق ... وبه نستعين .

■ هاني الخيِّر

دمشق مساء ١٩ أيار (مايو) ١٩٩٠

حكايات طريفة من صميم حياة طه حسين



الكتابة عن عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين (١٨٨٩ــ١٩٧٣) ، رحلة محفوفة بشيء من المخاطر و الأشواك... كيف يمكن الكتابة بدقة و شمولية ، عن سيرة وابداعات رجل كان منارة ساطعة لاعدائه الذين ناصبوه الخصومة بسبب أفكاره الجريئة والجديدة ، قبل أصدقائه وأنصاره وتلامذته الكثر الذين توزعوا أرجاء الوطن العربي .

ويبدو أن عظمة وعبقرية الدكتور طه حسين ، ما تزال تغري خصومه بالافتراء عليه حتى بعد رحيـله ، وتشويه صورته المضيئة أمام الجيل الجديد ، كما فعل الكاتب أنور الجندي في كتابه الجديد وعنوانه (طه حسين في ميزان الإسلام) ، والذي جعل من كتابه مذبحة لطه حسين وحملة شاملة على فكر طه حسين كله ، وعلى مواقفه وآرائه كلها ، دون الاقتصار على محاسبة طه حسين من خلال كتابه (الشعر الجاهلي) ...

ويتضمن كتاب السيد أنور الجندي أخطر (عريضة اتهام) ظهرت في المكتبة العربية ضد طه حسين ، سواء في حياته أو بعد موته ،فلا تكاد صفحة واحدة من هذا الكتاب تخلو من هجوم حاد على طه حسين واتهامه ــ ظلما وعدوانا ــ بأقسى التهم وأبشعها وأعنفها على الاطلاق ــ على حد تعبير الأستاذ الناقد النزيه رجاء النقاش ــ .

ومن هذه التهم التي وجهها أنور الجندي :

ــ إن طه حســين يعـادي العرب والعروبة ... ويعمل على تهديم التراث العربي ...وأنه انتمى إلى (حزب الوفد) نفاقاً وانتهازية ، وخوفاً من غضب الشعب عليه .

وأنه قد ارتد عن الاســلام ، ويروج للمستشرقين ... ويتعاون مع الصهيونية ... بالإضافة إلى العديد من التهم الباطلة ...

واعتبرت هذه الاتهامات التي وجهها أنور الجندي غير صحيحة ، وهي من قبيل تصفيـة الحســابات القديمة والشطط والهذيان ، وذلك لغيـاب الأدلة الواقعيـة ،وخلو الكتاب من الاتزان والموضوعية والتقدير السليم لطه حسين ، وللحركة الفكرية والثقافية

في مصر والوطن العربي على حد تعبير الأستاذ النقاش ،الذي تصدى للدفاع الموضوعي الشريف عن قاهر الظلام .

ويلاحظ في شخصية الدكتور طه حسين ، انها شخصية صدامية من الطراز الأول ، وهي تثير الجدل ، فقد اصدم في بداية حياته العلمية ، ومنذ فجر شبابه بشيوخ وأساتذة الأزهر ، وانتهى به الأمر إلى أن يخرج من الأزهر مطروداًولعنات أساتذته تسبقه ...

ثم اصطدم مع مجلس النواب المصري وذلك بعد صدور كتابه الشهير (الشعر الجاهلي) ... ثم اصطدم مع الرأي العام العربي والمصري ، واندلعت المظاهرات ضده في العديد من العواصم العربية ... وبعد ذلك اصطدم مع الملك فاروق ورئيس الوزراء اسماعيل صدقي ، لأنه رفض أن يمنح أحد « الباشوات » شهادة الدكتوراه الفخرية ، وذلك لسبب بسيط يتلخص بأن الدكتور طه حسين اكتشف أن « الباشا » يتصف بالغباء والجهل وضيق الأفق ، ولم يقدم للحياة الانسانية ما يستحق الذكر سوى رشوة الملك فاروق ... كما اصطدم مع كبار أدباء عصره أمثال : مصطفى لطفي المنفلوطي، وزكي مبارك ، وعباس محمود العقاد ، وغيرهم من المشاهير ...

وفي الشهر الحادي عشر من عام « ١٩٨٩ » احتفلت الأوساط الثقافية العربية بمرور مائة عام على ميلاد طه حسين ، وبهذه المناسبة الجليلة نقدم حكايات ولقطات طريفة مستمدة من صميم حياة الدكتور طه ، وربما تكون مجهولة لدى الكثير من القراء :

مؤلف أغان :

ومن المفارقات الغريبة أن يكتشف الموسيقيون أن الشيخ طه حسين قد ألف عدة أغان ، وأن غوصه في بحار الفقه والتفسير والحديث والنحو والصرف في الأزهر الشريف لم يمنعه أن يمدّ عالم الطرب والأغاني كما مدّعالم الأدب بالشعر ، هي علائم النبوغ المبكر تبدو ملامحه في كل ظاهرة من ظواهر الحياة ـــ على حد تعبير الأديب سامي الكيالي ـــ .

فبينما كانت لجنة الموسيقى في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية تبحث في موضوع إحياء ذكرى(كامل الخلعي) و(سيد درويش)و(داود حسني) ونشر تراثهم ، إذْ بالأستاذ أحمد بسيوني زوج كريمة كامل الخلعي يقدم مجموعة الأغاني التي يحتفظ بها عمه وهي عبارة عن « ٤٠ » رواية بين أوبرا وأوبريت قدمتها فرقة منيرة المهدية وزكي عكاش ، و« ٥٠٠ » قطعة غنائية ونشيد لحنها الفقيد ، وكانت مفاجأة مذهلة أن رأوا ، وهم يفحصون الأغاني ، اسم طه حسين على إحدى الأغنيات المكتوبة بخط الموسيقار الخلعي ، وقد كتب عليها من تأليف الشيخ طه حسين وهذه هي :

أنـــا لـــولاك ـــ كنت مـــلاك

غير مسمـوح ـــ أهـوى ســواك

ســـــامحني

في العشـــاق ـــ أنـــا مشتـــاق

أبكـي وأنــوح ـــ بـــالأشـــواق

صـــدقـــني

عهـــدك فـــين ـــ نـــور العـــين

بـــالمـفتـــوح ـــ تهـوى اتنـــين

جاوبني

واحـــــد بس ـــ يهوى القـــلب

قـــلبي يـــوح ـــ لـــه بـــالحب

طـــاوعـــني

أنـــا أهـــواك ـــ مـــين قســـاك

أنـــــا مجروح ـــ غـايتي رضـــاك

واصـــــلني

مـــا أحـــلاك ـــ وقت رضـــاك

لمـــا تـــلوح ـــ مـــا أبهـــاك

وقد أجمع أعضاء اللجنة ، وبينهم مأمون الشناوي مؤلف الأغاني المعروف وكلهم من كبار الموسيقيين على أنها من أرق الأغاني التي ظهرت في الخمسين سنة الأخيرة وقد سجلتها شركة « الفونوغراف » بعد أن لحنها كامل الخلعي .

نقده للمنفلوطي

تصدى طه حسين وكان ما يزال طالباً في الأزهر للأديب الشهير مصطفى لطفي المنفلوطي صاحب كتاب (النظرات) ... تصدى له ينقده نقداً جارحاً فكتب في جريدة « العلم » عدة مقالات كان لها صداها العميق في المجتمعات الأدبية ويخاطب طه حسين المنفلوطي قائلاً :

« أيها الكاتب المجيد ... أسعد الله صباحك وأحسن مغداك ومراحك ... وقوم المزور من شأنك والمعوج من لسانك .. وألهمك الصواب في الإعراب ... والإحسان في البيان ... فما أعلمك في كل ذلك إلا دعياً بحثت عن معناك فلم أجده إلا غثا ... وعن لفظك فلم أجده إلّا رثا .. وعن أسلوبك فلم ألفه إلا مبتذلاً ... وعن صيتك فلم أجده إلا منتحلاً ... وعن مقرظيك فإذا هم بين ظالم ومظلوم ، ولائم وملوم فسألت الله أن يثأر منك العرب » .

وقد سأله صحفي ، بعد أربعين سنة من تلك الحملة ، عن سر الحملة على المنفلوطي فأجابه وهو يبتسم :

ــ كنت شاباً يريد الشهرة على حساب كاتب كبير معروف .

قال له :

لقد أفرطت وتطرفت في النقد ....

فقال له مقاطعاً :

ــ تعني طول اللسان ... إن سببه في رأيي هو عنف مزاجي ، ولعل هذا السبب ولا سبب غيره ...

أعجبني صوتها فطلبت منها الزواج

يقول الدكتور محمد الدسوقي السكرتير الشخصي لعميد الأدب العربي :

« .... ونحن نقرأ الصحف ورد خبر عن الزواج ومشكلاته في بعض دول العالم ، فقال العميد بعد قراءته : كان مذهبي هو مذهب المعري في العزوف عن الزواج ، ولأني أحببته وكتبت عنه رسالتي للدكتوراه ، قلتُ : يبدو أن زوجتكم كانت السبب في تخليكم عن مذهب أبي العلاء ، قال : إن زوجتي كانت تقرأ لي في الجامعة بأجر ، فأعجبني صوتها وطريقة حديثها ، فأحببتها وغلب حبها على مذهب المعري ، فطلبت منها الزواج ، فاستشارت بعض أهلها ، فأشاروا عليها بعدم الزواج مني ، لأني أجنبي وكفيف ، ولكنها لم تأخذ بمشورتهم . فقلت : لو كان قدر لكم الزواج من امرأة أخرى ، فهل كان سيؤثر ذلك عليكم ؟ قال : بالطبع لقد قرأت لي زوجتي سوزان الأدب الكلاسيكي الفرنسي وعاونتني في دراسة اللغة اللاتينية ، وفتحت أمامي آفاقاً فكرية أثرت في ثقافتي وأدبي تأثيراً واضحاً » .

شاهد العالم ببصيرته المعجزة

تقول السيدة أمينة كريمة طه حسين :

« ... كان يتمتع بقدرات خارقة لا يصل إليها إنسان . أذكر في يوم من الأيام أن كنا نجلس حول « راديو » وكنا نستمع إلى صوت مطرب شرقي كان يغني بصوت رديء ... فما كان من طه إلّا أن قال « والله العظيم المغني ده أقرع » . وفوجئنا حين سافرنا إلى عاصمة ذلك البلد ... التقينا بالمطرب أنه فعلاً كان قد فقد شعره ... كما تصور طه حسين . ويمكنك قراءة صفحات وصف الأشخاص في كتابه شجرة البؤس ، وفي جنة الشوك ، وفي الأيام . لقد شاهد هو العالم والطبيعة والبشر ببصيرته المعجزة .

أهلاً وسهلاً بطه حسين

كان بعض رجال الفكر ، في مصر ، قد تنادوا إلى إقامة حفلة تكريم لشاعر القطرين خليل مطران ، وجاء من يريد الاستئناس بموافقة الملك فاروق الذي قال عندما قرأ اسم الدكتور طه حسين بين أسماء أعضاء لجنة التكريم : « إيه الأعمى ده » .

وعلم طه حسين بكلام فاروق ، فقال : « لم أكن أظنّ في حياتي أن تنالني مثل هذه الإهانة ، وفي بلدي ، وفي مثل هذه المناسبة » . واكتفى بالانسحاب من لجنة التكريم .

في ذلك الوقت كان الدكتور طه حسين عميد الأدب العربي وأشهر عميان القرن العشرين . وقدم يوماً إلى لبنان ، فأكرمه شعراء وأدباء ذلك الزمان بما يناسب مكانته في دنيا الفكر ويتناسب مع تقدير اللبنانيين للعلماء والأدباء والمفكرين .

وبلغه أن شعراء الزجل عندنا يرتجلون الشعر الشعبي ويُغنّونه ، حسب مقتضى الحال ، فطلب أن يختبر الأمر بنفسه ، وجيء به إلى حيث كانت فرقة « شحرور الوادي » تقيم إحدى حفلاتها . وما أن أطل بطربوشه الطويل ونظارتيه السوداوين حتى أنتبه أحد الحاضرين ، وهتف : أهلاً وسهلاً بطه حسين

فأخذ المبادرة شحرور الوادي ، وقال :

أهلاً وسهلاً بطه حْسينْ ربي أعطاني عَينينْ
العين الواحدة بتكفيني خِد لَك عَين ، وخَلّي عَيْن

وضجت القاعة بالتصفيق وراح الجميع يردّدون : « خِد لك عين وخَلّي عين » ، إلى أن وقف علي الحاج ، الشاعر الثاني في الفرقة ، وقال:

أهلاً وسهلاً بطه حْسينْ نْيلز ملك عَينين تْنينْ
تْكرّم شحرور الوادي مِنّو عين ، ومنّي عين

فتناول الردَّة أنيس روحاناً ، الشاعر الثالث في الفرقة ، وقال :

لا تقبلْ يا طه حْسينْ من كل واحد تأخذْ عينْ

بْقَدِّ مَلَكْ جوز عْيوني هْديّة ، لا قِرضة ولا دَيْن

فاستدرك طانيوس عبده ، الشاعر الرابع في الفرقة ، وقال :

ما بيلزَ ملُو طه حْسينْ عَينْ .... ولا أكثرْ من عين

الله اختصُّو بعين العقلْ بْيقشعْ فيها عالَميلينْ



طه حسين يقبل الحجر الأسود

حافظ إبراهيم ـ شاعر النيل



نشأ حافظ إبراهيم (١٨٧٢ ـــ ١٩٣٢) في بيئة شعبية ، وذاق في طفولته وشبابه ما ذاق من بؤس وصعوبات وتشريد . وشــاء القدر أن يبدأ حافظ إبراهيم مواجهة الأحداث ومقارعة الخطوب ، وهو لم يتجاوز العام الرابع من عمره ، فقد توفي والده ـــ المهندس ـــ، ولم يخلف له مالاً ولا جاهاً، ولم يترك له إلاّ اليتم والفقر، فاضطرت أمه إلى الانتقال به إلى القاهرة ، حيث التجأت إلى أخيها (محمد نيازي) وعاشت هي وولدها اليتيم في كنفه ...

وفي خلال هذه السنين العشر أو نحوها ، التي قضاها حافظ إبراهيم متنقلاً بين « الكتاتيب » والمدارس الابتدائية في القاهرة ، تأصلت الشعبية في نفسه ، وامتلأ ذهنه وقلبه بمختلف الصور الصادقة الناطقة عن الحياة القاتمة لطبقات الشعب الكادحة الفقيرة ....

كرامة نفسه

كان حافظ في السادسة عشرة من عمره حين أبت عليه نفسه أن يعيش عالة على خاله ، وكان عليه أن يجد لنفسه عملاً يعيش منه بكده وجهده ، ولما كان لم يحصل على شهادة دراسية تؤهله للالتحاق بعمل حكومي ، فقد اتجه إلى ميدان الأعمال الحرة ، ثم التحق بمكتب لأحد المحامين ، ولا سيما أنه كان يحس في نفسه أنه على حظ عظيم من طلاقة اللســان ، والخبرة بفنون الكلام . وكانت المحاماة في ذلك العهد مهنة مفتحة الأبواب لكل من أراد ممارستها ... وقد نجح حافظ إبراهيم في العديد من القضايا ، وظفر بحكم البراءة لصالح موكليه ...

الضابط الشاعر

وانتقل حافظ للعمل بعد ذلك في مكاتب العديد من المحامين .... غير أنه سرعان

ما ترك العمل في المحاماة في محافظة طنطا ، ثم عاد للقاهرة حيث التحق بالمدرسة الحربية ، وواصل الدراسة إلى أن تخرج فيها برتبة الملازم سنة « ١٨٩١ » ، وهو يومئذ في حوالي العشرين من عمره .

عين حافظ إبراهيم بعد تخرجه في المدرسة الحربية ضابطاً بالجيش ، فأمضى فيه نحو ثلاث سنوات ، ثم نقل إلى وزارة الداخلية وعين ملاحظاً للبوليس في مركز بني سويف ثم في مركز الإبراهيمية .... وأعيد بعد ذلك إلى وزارة الحربية. على أن صرح آماله بدأ ينهار فجأة ، إذْ أحيل إلى الاستيداع منذ إعادته إلى وزارة الحربية ، فعاد بؤسه القديم منذ ذلك الحين ، لأن مرتبه في الاستيداع لم يكن يزيد على أربعة جنيهات في الشهر

سفره إلى السودان

ولبث كذلك خمسة أشهر أو نحوها ، ثم كللت مساعيه في سبيل الخروج من أزمته النفسية والمادية بالنجاح ، فعين بإدارة التعيينات ، واضطر خلال عمله فيها إلى السفر إلى السودان في الحملة الأخيرة بقيادة لورد كتشنر . وهناك قضى في السودان الشرقي حوالي سنتين ، عانى فيها الأمرين ....

وزاد في شقائه خلال عمله في السودان ، أنه كان مغضوباً عليه من كتشنر نفسه .... وأخيراً عاد حافظ إلى القاهرة ، ولكنه عاد محالاً مرة أخرى إلى الاستيداع بعد أن حوكم وسبعة عشر ضابطاً من زملائه بتهمة العصيان ، ثم طلب احالته إلى المعاش فأحيل إلى المعاش سنة « ١٩٠٣ » .

حيرته وفقره

راح حافظ إبراهيم يواصل السعي في سبيل الحصول على عمل ملائم يعيش منه . ولكنه أخفق في سعيه هذا أكثر من عشر سنين ، ولم يدع خلالها باباً إلا طرقه ، ولا وسيلة إلّا اتخذها . وكان حاله وهو يقاسي الوحشة والاضطهاد ، كحاله حين كان صبياً يعاني اليتم والبؤس .

ومهما يكن من أمر تلك السنين العجاف في حياة حافظ المادية ، فلا شك في أنها كانت خيراً وبركة على حياته الأدبية والاجتماعية ، ففي خلالها أنشأ كثيراً من غرر قصائده في السياسة الوطنية والقومية والأخلاق والعادات والتقاليد، وأخرج كتابه الثاني « ليالي سطيح ». وأثمرت اتصالاته من طريق أدبه وشعره بكثير من الشخصيات داخل الحكم وخارجه ، انتهت أخيراً بتعيينه رئيساً للقسم الأدبي في دار الكتب في سنة « ١٩١١ » بمرتب شهري قدره ثلاثون جنيها .... ومن هنا عاش حافظ إبراهيم بعد ذلك ينفق باليمين ما يكتسبه باليسار ، وقد يسخو بكل ما يملك من مال على صديق أو زميل بائس .

سوداني مملح

واتفق أن ذهب حافظ إبراهيم مع محمد إمام العبد ، الشاعر السوداني المعروف ، للاصطياف في الاسكندرية ، ونزل إمام العبد البحر ... فلماخرج منه قال له حافظ :

ـــ أهو أنت سوداني مملح

العرق الأسود

وكان محمد إمام العبد ـــ المشهور بسواد بشرته ـــ يكتب ذات يوم ... فوقعت نقطة حبر أسود على الورقة التي يكتب فيها وهو غير منتبه ... فقال له حافظ إبراهيم :

ـــ نشِّف عرقك يا محمد .

قانون العقوبات

كان حافظ إبراهيم مدعواً ذات ليلة في حفل زفاف .... فأخذ المطرب يعزف على القانون عزفاً مزعجاً ...

فنادى حافظ صاحب الحفلة وقال له :

ـــ إيه الحكاية ... أنت جايينا هنا عشان تسمَّعنا « قانون العقوبات » ؟

كأنه بيتهم

قصد حافظ إبراهيم مرة إلى قصر القبة ... فأمر الخديوي عباس أن يتناول الطعام على المائدة الخاصة في القصر ... (وكان الأكل شعبي جداً وقليل) ... فلما فرغ سأله الخديوي ملاطفاً :

ــ لعلك انبسطت يا حافظ ؟

فردّ حافظ على الفور قائلاً :

ــ تمام يا أفندينا ... كأني والله في بيتنا

من سكان المقابر

اقترض أحد الأدباء خمسة جنيهات من حافظ إبراهيم ، ومضت سنوات دون أن يردها له ..وحدث يوماً أنه قابل حافظ وقال له :

ــ عنوانك إيه علشان أبعت لك الخمسة جنيهات ؟

فأجابه حافظ :

ــ مقبرة المجاورين ....

فسأله الأديب متعجباً :

ــ لكن إزاي تسكن في المقبرة ؟

فقال حافظ :

ــ أنا مش ساكن فيها دلوقت .. لكن على بال ما تدفع لي المبلغ .. أكون من المرحومين اللي ساكنين هناك .

مساواة

رأى حافظ إبراهيم رجلاً عظيم الكرش ، فقال له مداعباً : ما أراك إلّا ممن يطلبون المساواة بين المرأة والرجل ... فأجابه : نعم . فقال حافظ : على شان كدا حملت عنها حملها ...

إبراهيم عبد القادر المازني
الأب الشرعي لمدرسة الضحك الأسود



ما يزال الكاتب الساخر إبراهيم عبد القادر المازني (١٨٩٠ ــ ١٩٤٩) يجري اسمه في ابتسام عذب على شفتي كل من يتحدث عنه ، لأنه كان يعطي لأدبه من روحه المرحة الساخرة ، وطابعه الخاص ويبرز اسمه وراء كل سطر مما يكتب .

وتجدر الإشــارة إلى أن المازني ، اتجه في بدايات حياته الأدبية ، إلى نظم الشعر للتعبير عن أحاسيس نفسه ، فأصدر ديوانه الأول سنة « ١٩١٣ » ، والديوان الثاني وهو الأخير سنـة « ١٩١٧ » . وكوّن هو وعبد الرحمن شكري ، وعباس محمود العقاد ، مدرســة نقدية اسموها (مدرســة التجديد) ، وقادوا معركة نقدية عنيفـة على شعراء عصرهم أمثال : أحمد شوقي ، وخيليل مطران ، وأحمد زكي أبو شادي ، لأن هؤلاء في شعرهم ، لاسيا شعر المناسبات يهبطون بهذا الفن الرفيع إلى مستوى التكسب والمديح الكـاذب والزيف والتملق . كما نادت هذه المدرســة بالصدق الفني .. واحترام صدق اللحظة ... والانسجام مع الذات . ثم توقف المازني عن نظم الشعر ، لأنه يعتقد أن نظم الشعر في مرحلة الشباب لا يصيب معرفة عميقة بالحياة ، واتجه إلى النثر عن طريق المقالات ، والخواطر ، والقصص ، والنقد الأدبي ، فهو حين يكتب يستطيع أن يريك وضع الابتسامة من كل معنى كئيب ، وإشراقة السرور وومضة الفرح من وراء كل ظل عابس .

صدر للمازني ما يقرب من ثلاثين كتاباً نذكر منها :

ــ حصاد الهشيم .

ــ قبض الريح .

ــ صندوق الدنيا .

ــ خيوط العنبكوت .

ــ رحلة إلى الحجاز .

ــ ثلاثة رجال وامرأة .

ــ سبيل الحياة .

لقد انتهى المازني إلى السخرية من الحياة ، ومن في الحياة ، وما في الحياة ، التي هي كذبة كبرى ، ولم يعد يعبأ بشيء ، وامتدت تلك السخرية المريرة حتى شملت عصارة نفسه وجهد حياته وخلاصة تجربته الإنسانية . فلم ير فيما يكتب غير « حصاد الهشيم » و« قبض ريح » وملهاة أطفال « صندوق الدنيا » ، وهي مؤلفات للمازني فتحت أفاقاً ، وبصرتنا بأسرار ، وقادتنا إلى التفكير والتأمل ، واثارت فينا الأحاسيس ـــ على حد تعبير الناقد الراحل الدكتور محمد مندور ـــ .

كان هاجس المازني .. وشاغله الأبدي .. أن يسعد ويرضي جمهوره فيما يكتب ، أكثر مما يلتمس أن يكون إنشاء يخلد به في الأدب ، واختراعاً يزيد ثروة اللغة العربية معنى أو موضوعاً أو فكرة ـــ على حد تعبير الأديب محمد سعيد العريان ـــ .

وما حاجة المازني إلى الخلود وهو لا يراه إلّا خرافة ، اخترعها الإنسان ليضل بها نفسه القلقة المعذبة ، ويرضي ناحية من غروره وكبريائه وخوفه من الموت . على أنه من حيث يريد ـــ أو من حيث لا يريد ـــ قد كتب لنفسه في تاريخ الأدب العربي صفحة مشرقة سيخلد بها وتخلد به . بقي أن نذكر بأن أديبنا الراحل إبراهيم عبد القادر المازني ، يعتبر الأدب الشرعي ، لمدرسة الضحك الأسود ، في الأدب العربي المعاصر .

المازني يهجو نفسه

كان المازني طبيعياً في كل شيء ، ولعلّ هذه أبرز صفة عنده ، لباسه ، شكله ، حياته البيتية ، قراءته ، كتابته ، كلها تدل على الانطلاق من قيود التكلف ، إلّا صحته فقد كانت موضع نظر منه ، وكان يشكو من قصر قامته ، كما كان يشكو من العرج ، حتى لقد أغرق في وصف نفسه فهجا شخصه بقوله :

انظر إلى وجهي الشّتيم اللعين وأحمَدْ على وجهك رب الفنون
أُقسم أن الله ما صاغني كذاك إلّا رغبة في المجون

إنه يصور نفسه تصويراً يبعث على الضحك بينما هو محزون متألم . ومن غريب المفارقات أنه كان صديقاً للأستاذ عباس محمود العقاد ، على الرغم من الفروق بينهما ، فالعقاد

طويل فارع ، جدي الشكل ، أميل إلى الوقار ، شديد الوطأة في النقد أو الهجو ، معتد بقوته وجبروته ، غير متسامح في شيء ، مما يعده مخالفاً للقاعدة . في حين كان المازني قصيراً ــ أو قميئاً على حد تعبيره هو ــ . وكان أميل إلى النكتة والمزاح ، متسامحاً في كل شيء ، فهو يحاول اقناعك أو ردعك حتى إذا رآك عنيداً مشاكساً مال معك واعترف بخطئه « تمشية للحال » وحسماً للقيل والقال .

عمر قصير مع الصحة والقدرة

يقول المازني : « وإني لأذكر أني كنت يوماً أتمشى مع صديقي الأستاذ العقاد ، فرأيت رجلاً قصيراً مرسل اللحية أبيضها ، مقوَّس الظهر ، مغضَّن الوجه فقلت لصديقي ــ العقاد ــ انظر ... هذا هو المازني في السبعين من العمر تالله ما أقبح ما نحن صائرون إليه من الضعف والتهدم والدمامة لا يا سيدي ، خير من هذا المصير عمر قصير مع الصحة والقدرة » .

عشقت «١٧» مرة

ويضيف المازني : « عشقت مراراً ، وقالَ فيَّ صديقي الأستاذ عباس محمود العقاد قصيدة بعث بها إليَّ ، في ذلك الزمان :

أنتَ في مصرَ دائم التمهيــــد بــين حبٍّ عفى وحبٍّ جديد

وأذكر أنه بعث إليَّ يومئذ برقعة كتب فيها أسماء المعشوقات وإلى جانبها أرقامها وكان الرقم الأخير « ١٧ » ، وسلسل الأرقام تحتها ووضع أمامها أصفاراً لا أسماء ، إشارة إلى أن معاشقي لا تنتهي ، وأنه ينتظر أن يعرف الأسماء ليقيدها قُبالَةَ أرقامها .

وإذا قلت عشقت ، فإنما أعني الآن أني اشتهيت ، وأني عانيت هذا الضرب من الجوع الذي يسميه الناس الحب ، ولكني لم آكن أدرك هذا يومئذ ، أو أنظر إلى حقيقة الأمر فيه ، وإنما كان ما أقرأ من الشعر يغريني بنشدان الحال ، ويطلقني كالنحلة بين أزاهير الحسن ، ويدفعني إلى إيحاء الشعور بالحب إلى نفسي ، فأتوهم أني محب ، وأني

عاشق ، فأقضي الليل مسهد الجفن مؤرق النفس ، أنظم الشعر وأقول في هذا المحبوب أو ذاك » .

أحد اللصوص يداهم منزلي فأتخذه صديقاً

يقول الأستاذ المازني : « ... ومن المضحكات أن جريدة « الأخبار » دعت الأمة إلى الاكتتاب لإقامة تمثال نهضة مصر للمرحوم مختار المثّال ، وبلغت جملة ما جمعته حوالي ستة آلاف من الجنيهات ، وكانت الاكتتابات تودع بنك مصر أولاً فأول .

ولكن بعض البُلهاء ظن أن ما تتلقاه « الأخبار » من الاكتتاب يحفظ في بيتي أنا ، وكان البيت طبقة واحدة ، وله فناءان ، وأحد قدامه وآخر خلفه ، وفيه الفرن وما إليه ، وكان الجدار الخلفي واطئا ، فايقظني ذات ليلة صوت جسم وقع في الفناء الخلفي ، فتوهمت في أول الأمر أن حجراً مزعزعاً أسقطه قط أو نحوه، ولكني سمعت بعد ذلك حركة كحركة من يعالج فتح الباب ، فنهضت ، ومضيت إلى الباب الموصود ، وفتحت شباكه ونظرت فإذا واحد من أهل الحيّ ، ولم يخطر لي أنه جاء ليسرق ، فما في البيت ما يستحق أن يطمع به أشدّ اللصوص قناعة ، وظننته جاء يطلب شيئاً ، فحيَّيته وإن كان قد أسخطني عليه أن يجيء في هذا الوقت المتأخر ، وفتحت له الباب وقلت له : « تفضل » وحملت ما بدا لي من تردده واضطرابه على محمل الخجل ، فألححت عليه فدخل ، فمضيت به إلى المكتبة ، وناولته سيجارة وقمت لأصنع له قهوة ، فاستغرب سلوكي معه ، وأعجبه على ما يظهر ، فأقر لي بالحقيقة وسألني الصفح ، فضحكت ، وقلت له : والله إني لجدير بأن أخجل منك ، فإن البيت فارغ ، ودرت به على الغرف ليرى بعينيه مبلغ فراغها فزاد خجله ، وطال اعتذاره وعظم أسفه ، فخطر لي أن من نقص المروءة أن أرده خائباً ، صفر اليدين ، ولم أجد غير الكتب ، فتناولت طائفة منها ، وقلت له : خذ هذه وبعها ، وإذا احتجت إلى سواها ... فتعال إليّ ، فقد مللت عبادة الأصنام ، وكتبت له رقعة وقلت فيها أني أعطيته هذه الكتب ، حتى لا يتعرض إلى مضايقة رجال الشرطة .

فقيه أعمى

والطريف بعد ذلك أن جاري اللص صار صديقي ، فقال لي يوماً : إن هذا البيت غير مأمون لأنه « منطّة » وأن الأولى أن اتخذ حارساً ، ولولا أنه مشغول بكسب رزقه لتولّى الحراسة الواجبة . ولكنه سيجيء برجل أمين يقظ ، يؤدي هذا الواجب .

وبعد بضعة أيام جاءني بفقيه أعمى وقال هذا حارسك ، فلم أر أن أرده ، فكان يبيت كل ليلة عندي على الشرفة ، وإلى جانبه عصاه ، وكان خفيف النوم كل شيء يوقظه ، وإذا استيقظ ضرب الأرض بعصاه وصاح : « من القادم ...؟ » فأستيقظ أنا أيضاً فلم أجد لي في هذه الحراسة راحة فحولته إلى المقبرة ، وقلت له : اقرأ على هذا القبر كل يوم ما تيسر من القرآن الكريم .

وانتقلت إلى بيت آخر آمن وأقل حاجة إلى هذه الحراسة » .

المازني في منزل ميّ زيادة

يصف إبراهيم عبد القادر المازني زيارته لصالون ميّ زيادة الأدبي بقوله :

« أعترف أني دخلت متهيباً، مستحيياً، ووقفت على الباب متردداً اتهيب لقاءها ، واستحييت أن أجد نفسي بين زوارها الذين قيل انهم من كل طبقة . وترددت لأني لم أعتد هذه المجالس ، ولأني أعرف من نفسي شدة النفور من هذه الطبقات التي تعد نفسها عالية أو متعالية أو لا أدري ماذا أيضاً . على أني دخلت بسلام . فاستقبلتني هاشة باشة شاكرة ، فتعجبت ، ولا أظن أني نطقت بحرف . وقعدت حيث أومأت . وكان هناك الأساتذة لطفي السيد ، وخليل مطران ، ومصطفى عبد الرزاق ، والسيد رشيد رضا وابن أخيه محيي الدين رضا ، والعقاد ، وآخرون كثيرون امتلأت بهم حجرات الدار . وكانت المرحومة أمها تساعدها على الترحيب بالضيوف وإكرامهم . ولا أذكر أنه دار بيني وبينها أي حديث . وكانت كلما مرت بي تلقي كلمة تحية ، أو تكتفي بالإبتسام ، وأنا كالأخرس لا أنبس ببنت شفة

إلى أن يقول: وإذا بهذا الجمع الحاشد يخرج من الحجرات إلى الردهة الفسيحة. وإذا ميّ تقف لتخطب ، فارتعت ووجمت . فما أكره شيئاً كراهتي للخطب . وقالت شيئاً سمعت منه اسم (ماكس نورده) ، فانطلق لطفي السيد يصفق ، فتعجبت لهذا الرجل ولما عددته يومئذ إسرافاً في التلطف والمجاملة .

ولم أصغ لشيء مما قالت . ورأيت كثيرين ينهضون شاكرين مثنيين . وصار هذا يدعو ذاك لالقاء كلمة . فخفت وزادني رعباً أن السيد محيي الدين رضا همس في أذني أنه سيد عوني إلى الكلام فقلت : والله لئن فعل لأقولن ما يسوء . فما أنا من رجال « الصالونات » . واتفق في هذه اللحظة أن مرت الآنسة مي زيادة فحاولت أن أنهض لها ، فنهتني عن ذلك ، وعرفتني أنه غير لازم فوجدت لساني وقلت لها معتذراً عن جهلي : أني من عامة أبناء الشعب ، ولست من روّاد « الصالونات » . فأرجو أن تتجاوزي عن أغلاطي .

فقالت بابتسامة وديعة : لا تقل هذا الكلام

قلت : ألا تحبين أن تعرفيني على حقيقتي .

قالت : طبعاً

قلت : ثقي إذن أني من أبناء الشعب ، ولا أستطيع ، ولا أحب أن أرتقي عن هذه المنزلة .

فتبسمت ، وهزت رأسها . ولا أدري إلى هذه الساعة أكان هذا منها أسفاً ، أم كان رفضاً للتصديق ؟ وإنما الذي أدريه أني كنت جاداً جداً .

وبدأ الناس ينصرفون . وهمّ الأستاذ العقاد ، وهممت ، بالخروج ، فأخرتنا واستبقتنا — أستغفر الله — بل استبقت ايضاً خليل مطران . وجلسنا نحن الأربعة في حجرة الاستقبال الكبرى . وكان نصيبي الاصغاء ، مطرقاً حيناً وناظراً إليها حيناً آخر ، ومعجباً بها في الحالتين . وإن كنت قد شعرت بأني غير فاهم شيئاً مما يقال لفرط اشتغالي بما في نفسي .

إلى ابنيّ الصغيرين

جاء إهداء كتاب (خيوط العنكبوت) على الشكل التالي :

الإهــــداء

إلى ابنيّ الصغيرين

رضى عبد القادر المازني الذي أوفى على السادسة وعبد القادر المازني الذي شارف الرابعة .

اعترافاً

بفضلهما عليَّ

وشكراً

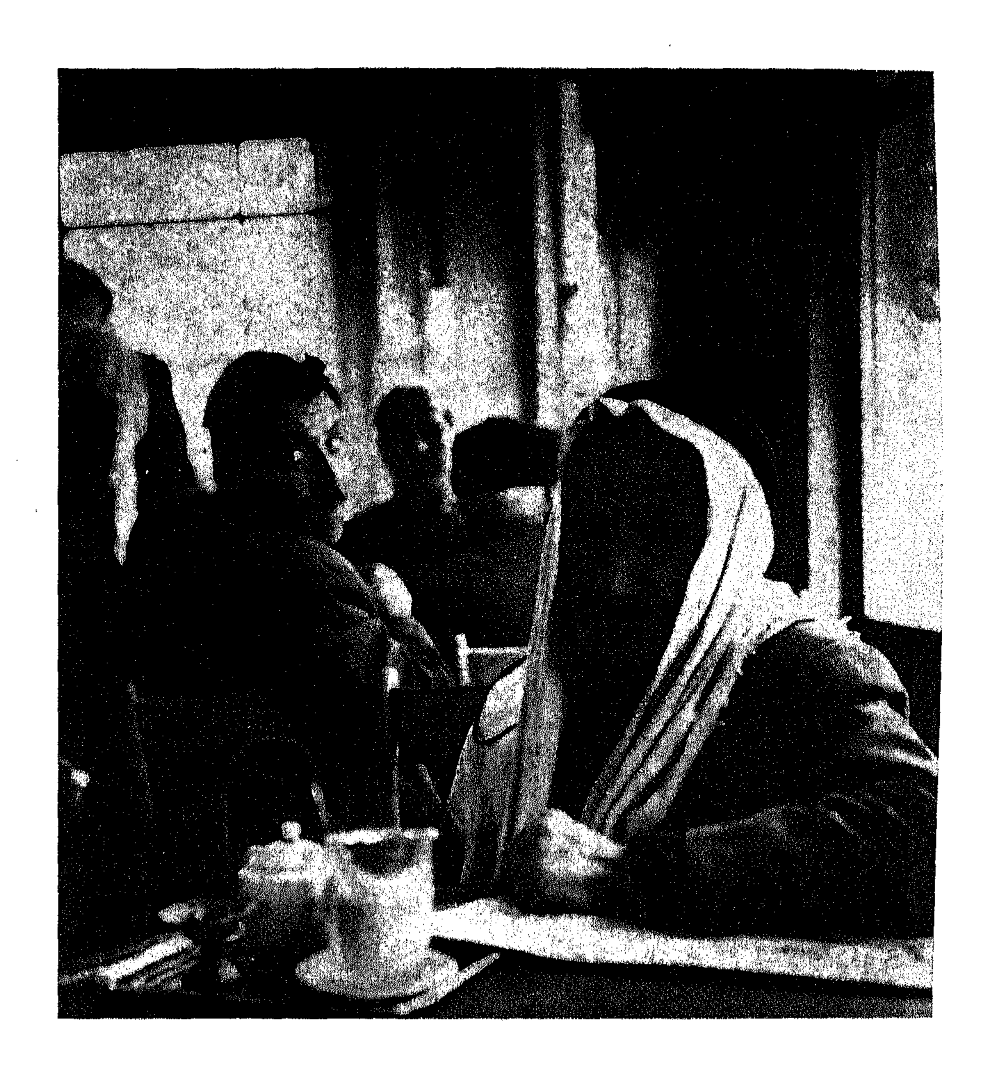
لمعونتهما لي

فلولا عبقريتهما لظهر هذا الكتاب قبل عامين .

نيسان (أبريل) سنة ١٩٣٥

إبراهيم عبد القادر المازني

أحمد الصافي النجفي ـ ساكن المقهى



ولد أحمد الصافي النجفي (١٨٩٧ ــ ١٩٧٧) في يوم غاب عن بلده الحسن والجمال والصحة . إنه طير لا كالطيور ، له منقار بومة وصدر ورقاء ، وجناح هدهد ، له في الشعر هديل الحمام وصفير البلبل إنه طير فريد يحسن الطيران والغناء ولا يحسن شيئاً غيرهما ...

فهو وليد برج النحوس ... الدمامة أمه ... والسقم أبوه ... والبؤس أخوه .. بل أنه له من السقم إخواناً يقيمون في عدد من أعضاء جمسه النحيل ، وقد قال واصفاً نفسه :

وجهي دميم وقلبي عــــدو كل دمــــيم

ويقول أيضاً :

أســير بجســم مشبهاً جسم ميت كأني إذا أمشي به حاملاً نعشي

ويتابع كلامه :

« ... وها أنا قد أشرفت على الأربعين من عمري ، وحتى الآن لم أحظ بحب امرأة ، ولم أقابل بنظرات الحب امرأة دميمة أو جميلة جاهلة أو متعلمة ، شاعرة أو جامدة إلّا وقابلتني بالاعراض والازدراء حتى يئست من نجاحي بالحصول على عطف المرأة ... » .

ولكن على الرغم من ذلك فهو حيّ بعطائه الخالد . لم يكن شاعر ولائم ، ولا نظّام مناسبات اجتماعية ، بل كان شاعراً رقيق الشعور ، رحيم القلب ، يرى بؤس البائسين من خلال بؤسه .. عندما كان يأوي إلى غرفته المتواضعة . ولكن قلبه الكبير المفعم بالكبرياء كان مهباً لرياح هموم المتعبين . لقد آمن بما قاله السيد المسيح :

« تعالوا إليّ أيها المتعبون ، فربما أراحت الكلمة عناء متعب ، أكثر مما تريح شجرة وارفة ، أو مياه غدير عذب ، أو قطرة بلسم رائق » .

كان معلماً وسط صحراء اجتماعية لاهبة ، تموج بالجهالة الخانقة ، والقلق المصيري المخيف ، رسولاً للمثل العليا ، والعبارة الموحية التي تتضمن خلاصة تجربته الإنسانية ، وتشرده في شوارع دمشق ... وبيروت ... وطهران .

كان يكتب أشعاره على أوراق أكياس الصر ، وفوق علب لفائف التبغ ، وعلى أطراف ومزق حواشي صفحة الجريدة التي تكون بين يديه ، وأحياناً على ورق « الكلينكس » الذي يحشو به جيوبه . ـــ على حد تعبير د. عبد السلام العجيلي ـــ .

استطاع الشاعر أن يجذب الناس ، بأدبه وثقافته وشعره وفلسفته، وينفرهم منه بنزقة وغرابة أطواره ، وببعده في هندامة عن النظافة .

كان يرفض حفلات التكريم والدعوات الشخصية للاحتفاء به ، لأنه يجدها مصطنعة غارقة في الزيف ، لذلك خمل ذكره وعاش غريباً بيننا ....

لاشك أن الصافي شخصية شمولية ، تصعب الإحاطة بها من كل جوانبها وسبر أغوارها التي تشبه الخلجان العميقة ، وقلة هم الذي سيتذوقون شعره الذي يقوم على المعنى أكثر مما يقوم على المبنى . كما يلاحظ في شعر الصافي اغراقه في البساطة اللفظية وسهولة العبارة ، ووضوح المعنى ، حتى يكاد أي قارئ يفهمه دون أدنى عناء . لأن الصافي كان ضد الأدب القائم على التعقيد اللفظي والتخمين .

وخلال وجود الشاعر في بيروت اندلعت الحرب الأهلية ... وأثناء بحثه عن الخبز في منطقة (النبعة) أصابته رصاصة من قناص شرير مزقت ساقه ولحقتها أخرى أصابته في ظهره .. فسقط في الشارع ينزف دماً ....

وعاد الشاعر إلى العراق بعد أن شعر أن نهايته قد اقتربت ... وصل إلى وطنه وقد انطفأت أنوار عينيه ... ويهتف عند سماعه أصوات مستقبليه في المطار :

يا عودة للدار ما أقساها　　　أسمع بغداد ولا أراها

وفي السابع والعشرين من حزيران (يونيو) عام « ١٩٧٧ » ، يتوقف قلب الشاعر عن الحركة وهو الأمير لأمة لم تخلق :

سألتني الشعراء أين أميرها   فأجبت «إيليا»[1] بقول مطلق
قالوا وأنت؟ فقلت : ذاك أميركم   فأنا الأمير لأمة لم تخلق

أحمد الصافي النجفي .. وحكايات طريفة

فقير هندي

نزل الصافي في مدينة دمشق عام « ١٩٣٠ » فقيراً ، وبقي فيها زهاء أربعين عاماً ، أي ما يقارب نصف عمره ، وقد أثرت دمشق على شاعرية الصافي واكتمال فلسفته ونضج شخصيته ...

وبعد أيام من وصوله ذهب إلى مدير الأوقاف الإسلامية بدمشق ، صاحب السماحة السيد عبد القادر الخطيب وقال له أنا أحمد الصافي النجفي . وتعارفا وقدّم إليه (رباعيات عمر الخيّام) التي ترجمها للعربية شعراً جيداً . وقد سرّ منه المدير وقال له ما حاجاتك ؟ فقال أريد غرفة سكن لا يزعجني فيها أحد ... فأوجد له غرفة في مدرسة الخياطين قرب الجامع الأموي ، وتلك الغرفة حوت أدوات الشاعر كأنه أحد فقراء الهنود .

حسناء في معرض دمشق الدولي

ومن مواقفه الطريفة أنه ذهب في إحدى المرات يزور معرض دمشق الدولي . وتعب من السير فجلس عند إحدى نوافير المياه الجميلة المتلألئة بالأنوار . جاءت حسناء رائعة الجمال وجلست قبالته وسألته :

ـــ أستاذ ألست أنتَ أحمد الصافي النجفي؟

قال :

ـــ هو بلحمه (على قلة لحمي) ودمه وإعجابه بهذا الجمال الأخاذ ، يا ذات الصون والشرف والعفاف .

---

(١) المقصود إيليا أبو ماضي .

قالت بلهجة شامية محببة :

ـــ تقبرني .. قل لي شيئاً من شعرك ألا ترى أنني أستحق

قال :

ـــ سمعاً وطاعة .. وحباً وكرامة .. وكان هذان البيتان من الشعر الفوري أو العفوي :

ومليحـة جـاءت لمعرض جـلق   تطفـي منـاظره بمنظرهـا الوضي

هي ما أتت حتى تشـاهد معرضاً   جاءت لتعرض حسنها في المعرض

وانتشر هذان البيتان من الشعر في تلك السنة ، إنتشار النار في الهشيم ، فقد لجأت الحسناء المجهولة إلى وسائل إعلامها الخاصة ، وعممت البيتين من الشعر اللذين صارت تدعيهما كل حسناء فخورة بجمالها .

ساكن المقهى

ولابأس أن يعرف القارئ أنه قد بلغ من إقبال الشباب العربي السوري من شتى المدن والمناطق على الصافي ، ساكن المقهى ، ما جعله موضوعاً لتنافس أرباب المقاهي الدمشقية .

فقد رأيت ـــ والكلام للأديب الراحل فؤاد الشايب ـــ صاحب مقهى في فصل لايزال حتى الآن يثير فيّ الدهشة والضحك ، يجلس إلى الصافي دامع العين ، متهدج الصوت يخاطبه هكذا :

ـــ ماذا فعلتُ لك يا أستاذ حتى تغادر مقهاي بلا سبب ؟ قل ماذا تريد .. مرّ بما تشاء ... وعد إلى المقهى ... الله يستر عرضك .. وأنا وأولادي كلنا تحت أمرك ... وإذا أردت أن لا يتناول أحد مجالسيك مشروباً فاغمزني عليه

لعنة الله على الجوارب

وفي مساء أحد الأيام نزل بالشاعر صداع أليم ، ما تعود مثله ، فأخذ علينا سبل التدبير وحرنا في معـالجته ، أو تخفيف بعض ما به . كأننا محملون مسؤولية سـلامته

وعافيته ... ورأينا الصافي يقفز من السرير فجأة ويقول لنا : أنا أعرف سبب هذا الصداع الملعون قلنا : ماذا .. خير إن شاء الله . قال : هذه الجوارب يا أخي .. أنا والله لا أطيق لبس الجوارب . أرغمتوني على شراء جوربين بخمسة عشر قرشاً ، فاتميز بهما حسب رأيكم عن البداة الحفاة كأنه لا ينقصني سوى الجورب .. لعنة الله على الجوارب ، ثم راح الصافي يخلعهما بجهد وتعتعة ، صاخباً متأففاً . وما هي إلّا نصف ساعة حتى سمعنا غطيط الرفيق .

ولعلَّ الشاعر المتفجر الأعصاب رقة وحساسية ظل مقلعاً عن عادة الجوارب إلّا في مناسبات قاهرة ، هي البرد الشديد على الغالب ، وهي استقبال شخصية كبرى أو زيارتها .

منطقة عزلاء

كان الصافي ذا قامة طويلة وقدّ ممشوق ، أعجف هزيلاً باديَ الهزال ، مدوّر الوجه ضيق العينين ، فيهما ضعف وكلال من طول النظر والإكباب على المطالعة ... ولم يكن يعنى بنظافة جسمه فربما حك صدره وجلد إبطه حتى إذا قبض على الحشرة الدخيلة أمسك بها بإصبعه وقذف بها برقة وتحفظ تحت الطاولة . وكان الموسوسون منا أقاموا بينهم وبين الصافي منطقة عزلاء تقيهم زحف هذه الهدية الصميمية وقد نظم أحد الظرفاء بيتاً عرض فيه بنظافة الصافي فقال على لسانة :

أُخـذْتُ في يـوم إلى الحمّـام   كأنـي حُكـمتُ بـالإعـدام

دعابة بريئة

يقول المغفور له والدي العلّامة الخيِّر :

في أوائل الستينات، استضفتُ الشاعر الكبير، أحمد الصافي النجفي، في منزلي بدمشق ، لمدة ثلاثة أيام ... بحجة إطلاعه على مخطوط ديوان الشاعر (البازياري) المنسوب خطأً لأبي نواس .

وكان يتندر أمام أصدقائه بأنه لم يستطع أحد أسره في منزله ثلاثة أيام إلّا صديقه (عبد الرحمن الخيِّر) . وقد جرى بيني وبينه نقاش إسلامي عام وخاص حول بعض أقوال الإمام علي ـــ عليه السلام في كتابه الخالد (نهج البلاغة) .

شاعر البؤس والصعلكة : عبد الحميد الديب



كان شاعر البؤس ، عبد الحميد الديب (١٨٩٨ ـــ ١٩٤٣) ، شاعراً فريداً في زمانه وظاهرة لم تتكرر ولن تتكرر طويلاً ...

لقد عاش حياة غريبة مثيرة ... وسجلها لنا في لوحات فنية صادقة عكس فيها مأساة بؤسه ومحنة حرمانه . وروى لنا في صدق وأمانة حوادث معاركه مع خصومه ، وتشرده في الشوارع ، وهيامه للبحث عن لقمة الخبز تقيم أوده ، ولياليِ ضياعه ، وحوادثه المثيرة في السجن ومستشفى الأمراض العقلية والحانات الرخيصة ....

ولد عبد الحميد الديب بقرية كمشيش بمحافظة المنوفية ... ولد لأسرة فقيرة بائسة.. كان والده السيد الديب فلاحاً فقيراً متواضعاً، وكان يعمل في مواسم القرية وأعيادها جزاراً ليعول أسرته الكبيرة ويرد عنها غائلة الجوع والعز ..

وألحق عبد الحميد الديب بكتّاب القرية ، فحفظ القرآن الكريم وجودّه في مدة وجيزة . وفي تلك الحقبة من حياته كان ينظم شعراً ساذجاً أشبه بالمواويل ، يهجو به أقرانه ويسخر فيه من الشيخ ومن العريف ، والصبية حوله يضجون بالضحك ...

شب عبد الحميد الديب وهو يرى الفقر يحيط به من كل جانب ، وترسبت في أعماقه صور أسرته البائسة وهي تعاني ضروباً من ألم الجوع والحرمان والبؤس ... وهكذا شب الديب شاعراً حزيناً باكياً .

كان لأبيه أمنية عزيزة ، هي أن يرى ابنه شيخاً مجاوراً في الأزهر يجلس إلى أحد أعمدته ويدرس العلوم ويفسر القرآن الكريم لتلاميذه ومريديه ...

وهكذا التحق الديب بمعهد أزهري في الإسكندرية ... وبعد أن نال منه شهادة متوسطة اتجه إلى القاهرة عام « ١٩٢٠ » حيث التحق بالأزهر الشريف ... وفي حيّ الحسين قطن بحجرة متواضعة في « قصر الشوق » ... وعاش حياة بائسة في تلك الحقبة

من حياته ... ويلتفت حوله فلا يجد في غرفته الضيقة الحقيرة إلّا جريدة قديمة هي بمثابة وسادته التي ينام عليها ... ومعطفه هو فراشه ... ولا يوجد شيء آخر لديه ... لامكتب ولا كرسي ولا فراش ....

ويثور الديب ويسجل مشاعره وأحزانه في قصيدة عن تلك الغرفة البائسة التي يعاني منها الأمرين ، فيقول :

أفي غرفتي يا رب أم أنا في لحدي   ألا شد ما ألقى من الزمن الوغد
وهل أنا حي ... أم قضيت؟ وهذه   أهابة اسرافيل تبعثني وحدي

وفي الأزهر نهل الديب من التراث العربي ، وقرأ أمّات كتب الأدب ... ومضت حياته بين دراسته في الأزهر وكفاحه المرير في سبيل لقمة العيش ... والتحق عبد الحميد الديب بمدرسة دار العلوم العليا ... ومضت حياته بين دار الكتب ، ودار العلوم والتسكع في أحياء القاهرة الشعبية وضواحيها ... يجوب شوارع القاهرة يضنيه البؤس ويعذبه الطوى ، ولا يجد إلّا قلماً وورقاً يسجل عليه أحاسيسه الحزينة البائسة .

في السجن ... وعالم الجنون

وقد اندفع الديب أيضاً إلى تعاطي الخمر و« الكوكايين » بإسراف . وتعرض كثيراً للسجن ولم يكن يخاف شيئاً إلّا الشرطة ، فكان ينكر في حرارة أنه يتعاطى « الكوكايين » رغم إدمانه له .

ودخل الشاعر البائس السجن غير مرة بتهم مختلفة ، منها التشرد والصعلكة والسكر والعربدة ، وشم « الكوكايين » وله في كل ذلك قصائد كثيرة ، وكان يخالط في السجن الشذاذ والأفاقين وعتاة المجرمين، لكنه كان يرى في السجن لذة بعيداً عن سخرية المجتمع وقسوته:

له بفؤادي لذة ووجيب   ومنه لقلبي بلسم وطبيب
ملأت به الدنيا هوى وصبابة   وهلهلت فيه الحب وهو جنيب

وكان كلما هده التعب هرع إلى الكأس المخدر ليعيش لحظات مع أطياف السعادة الموهومة ... حتى هد الشرب كيانه وأذبل عوده وأشفق عليه بعض أصدقائه فحملوه إلى مستشفى الأمراض العقلية بدعوى أنه مريض ليعالج بها ليبعدوه عن الكأس وعن « الكوكايين » بعد أن كاد يتحطم ... فقد كان غائباً عن وعيه لا يكاد يفيق ولكنه لم يكن مجنوناً لقد وجد الديب في عالم الجنون دنيا أخرى ... رآها دار عقل لا جنون كما يزعم الآخرون ...

وكان للفترة التي قضاها الديب في المستشفى أثاراً حسنة بالنسبة للشاعر البائس ، فقد استرد بعض صحته ... وعاد لوعيه من جديد .

الصعلوك العصري

كان جائعاً ذات ليلة وأشرف على الموت جوعاً ... وشاهد مطعماً على وشك الإغلاق ، فدخله مقتحماً ، وهو منكوش الشعر ، وصاح في صاحب المطعم :

ـــ هات فرخة بالأرز ، وخضاراً ، وموزاً ، وبرتقالاً ، وراح يطلب عدة أصناف ... وصاحب المطعم يحملق في وجهه بذهول ودهشة ، فصاح الديب به في صرخة مدوية :

ـــ بسرعة ... وإلّا أحرقت المطعم ....

فاسرع الرجل خوفاً على حياته وعاد بكل ما ذكر الديب ووقف أمامه مذعناً ، فالتهم كل ما طلبه في بضع دقائق وكان وقت الحساب ... ولم يكن مع الديب سوى قرشين فقط فأخرج مطواة كبيرة من جيبه وأخذ ينظف بها أسنانه في لا مبالاة ... والرجل يلاحظه في ذعر من بعيد ... ثم التفت الديب إليه قائلاً :

ـــ هل تعرف صاحب المطعم الموجود في السيدة زينب ؟ إنه لص ونصاب ... بالأمس أكلت عنده ... وكان الأكل مثل ما أكلت اليوم أو أكثر قليلاً ... أتعرف كم طلب صاحب المطعم اللص ؟

فقال الرجل بخوف :

ـــ كم طلب ؟

فقال الديب :

ـــ طلب عشرة قروش ... فقمت إليه وقطعت أذنيه وأطعمته إياهما

فتحسس الرجل أذنيه في هلع وذعر ... ثم سأله الديب بعد تمهل :

ـــ كم حساب هذا الطعام ؟

فأجاب صاحب المطعم بذعر وفي صوت مرتعش :

ـــ كفى يا بك قرشاً واحداً ...

فقال الديب وهو يتظاهر بالكرم :

ـــ خذ قرشاً ... وهذا القرش الآخر بقشيشاً لك ودفع الديب القرشين وخرج يتهادى في زهو وإعجاب بعد أن أكل حتى أتخم وهكذا استخدم الديب أساليب الصالعيك القدامى ولكن بصورة عصرية .

دعابة ... تؤدي إلى الاعتداء على الشاعر

وفي إحدى المناسبات ذهب مع أحد أصدقائه إلى قرية قريبة من القاهرة ليؤدي واجب العزاء في وفاة أحد المشايخ الاعراب ...

وكان السرداق مكتظاً بالناس أصحاب العمائم ... ووقف الديب على دكة خشبية وصاح في آلاف الجالسين :

ـــ أيها الناس ، سمعت شيوخنا في الأزهر يقولون : إذا مات عزيز لديكم فحلوا عمائمكم

وخيم الصمت على السرادق، وحلّ جميع الموجودين عمائمهم في صمت، ثم ارتفع صوته من جديد :

ـــ أعيدوها كما كانت

واكتشف عالم من الأزهر كان في السرادق وأخذته المفاجأة فحلّ عمامته هو الآخر ـــ اكتشف ـــ أنه ليس هنــاك حديث نبوي ولا غيره في هذا الشــأن على الاطلاق ...

وتثور الجماهير على الديب الذي غرر بها ، وكانت نهاية ذلك الموقف العابث من الشاعر الساخر أن تعرض إلى الضرب المبرح ، ألزمته شهراً كاملاً ظل يعاني من آثارها ونتائج سخريته وعبثه الماجن .

إنها القافية أغرتني على الهجاء

كان أحمد الصـــاوي محمد قد وعد الديب بطبع ديوانه ، وابتهج الديب ابتهاجاً كبيراً ، وشرع بجمع قصائده من الصحف والمجلات ... ومن أصدقائه ومعارفه ، لأنه لم يكن يحتفظ بقصائده لديه ...

وذات ليلة كان الأستاذ الصاوي جالساً في « بار » (اللواء) ، مع أصدقائه ، فصحب السياسي الظريف حفني محمود شـــاعر البؤس وأجلســه قريباً من مائدة الصاوي ... ثم أوحى إلى الديب أن يهجو كامل الشناوي ليمنحه منحة سخية ، فأنشد الديب :

بار « اللواء » لعنت بالشناوي

ثم تلفت الديب عفواً فوجد الصـــاوي قريباً منه ، فأكمل البيت : ورزئت قبلاً بالثقيل الصاوي

فغضب الصاوي وقال ثائراً :

ـــ لماذا تهجوني يا ديب ؟

فقال الديب ببساطة وبين ضحكات حفني محمود المدوية :

ـــ إنها القافية يا أستاذ ، وأمري إلى الله في إطلاق ديواني الحبيس .

مشاجرة بينه وبين طالب أزهري

يقول الديب : « بدأ اليوم ــ الجمعة ــ المولد الأحمدي ... مولد السيد البدوي ، ويحرص الآلاف من الريفيين على ارتياد الجامع الأحمدي في أول يوم من أيام المولد المذكور ...

وأن الناس لفي ضراعتهم إلى الله وزيارتهم للضريح ... إذا استرعى أسماعهم صوت جهير يردد أبيات قصيدة ، فهرعوا إلى مبعث الصوت فأنشدتهم :

الحرب بالأبواب   أين بنوك ؟
يا مصر ناديهم   لكي يحموك
يا مصر ما الطليان   كفؤك فاهجمي
إن لم تكوني   مرة ... أكلوك

ويضيف الشاعر الديب :

ويبدو أن رأيي في وجوب اقتحام المعمعة لم يصادف هوى في نفس أحد طلاب المعهد الديني ... فجرى هذا الطالب في ثورة واختطف القرطاس الذي كتبت فيه القصيدة من يدي ومزقه ، وهنا فارقت المنصة في غضبة ملتهبة واختطفت غطاء رأس الطالب ومزقت شالها الأبيض الناصع وقلت للطالب :

ـــ أنا لم أخسر شيئاً لأني أحفظ القصيدة ... وأما أنت فقد خسرت لأنك لا تحفظ غطاء رأسك

فتدخل الجمهور في الحادث .. فرفضت الصلح مع الطالب إلّا إذا كتب القصيدة بالخط النسخي الجميل ، فأذعن الطالب ، وكتب القصيدة فانتهت المشكلة بسلام واعتنق الطالب رأيي فصفق الجمهور » .

النهاية المؤسفة

وأخذ الديب يسرع نحو النهاية بعد أن اضناه البؤس وأنهكه التسكع ... وأخيراً أرتاح الشاعر الصعلوك .. مات الديب بعد انفجار في الشرايين لم يمهله طويلاً ... فتوفى في مستشفى قصر العيني في « ٣٠ » نيسان (أبريل) عام « ١٩٤٣ » .

وصدق صديقه الشاعر الكبير كامل الشناوي حين رثاه بقوله :

« اليوم مات شاعر تعرى واكتست الأضرحة ، وجاع وشبعت الكلاب » .

نساء في حياة جبران خليل جبران



أحب جبران خليل جبران (١٨٨٣ — ١٩٣١) مجموعة من النساء : حلا طنوس الضاهر ، سلطانة تابت (شقيقة الدكتور أيوب ثابت) ، جوزفين براستون بيبودي ، ماري اليزابيت هاسكل ، اميلي ميشال المعروفة بـ « ميشلين » (ويقال إنها حملت منه وأرغمها على الإجهاض) ، ماري قهوجي (يقول جميل جبر نقلاً عن الفنان صليبا الدويهي ، أن رسم وجه المصطفى على غلاف كتاب النبي فيه قسمات من وجه ماري قهوجي) ، شارلوت تيلر ، مادلين مايسون ، ماري عيسى خوري (أرملة ومغتربة لبنانية ثرية كان يعجبها في جبران عيناه الساحرتان ، وخجله ، وكانت تقول عنه أنه سكّير) ، مي زيادة — التي عرفها بالمراسلة — ، وبربارة يونغ .

وكل الذين كتبوا عنه ، ذكروا أسماء هؤلاء النساء ، باستثناء واحدة ، وهذه الواحدة مجهولة ، كشف عنها خليل جبران ابن عم جبران ، وهو نحات كبير في بوسطن ففي عام « ١٩٧٤ » أصدر خليل بالاشتراك مع زوجته جين ، وهي أستاذة جامعية كتاباً بالانكليزية عنوانه « جبران خليل جبران حياته وعالمه » ، واثر صدور الكتاب تلقى مكالمة هاتفية من أستاذة في جامعة بوسطن ، تقول :

« قرأت كتابك وفوجئت بخلوه من ذكر خالتي غيرتريد باري التي كان لها علاقة جسدية بقريبك جبران ... وعندي عدد كبير من الصور التي تمثله وإياها . وكذلك عندي مجموعة رسائل كتبها لها » .

ويقول خليل (كان عمره عمره ١١ سنة عندما مات جبران) في حديث صحافي مع أنطوان فرنسيس في مجلة (الحوادث) بتاريخ ١٢ كانون الثاني (يناير) « ١٩٧٩ » :

« وأقفلت سماعة الهاتف ، وهرعت على الفور أنا وزوجتي لملاقاتها . وإذا بنا أمام قصة جديدة أذهلتنا « ٦٦ » رسالة كتبها جبران بخط يده إلى حبيبته غيرتريد باري ،

وهي مؤرخة بين ١٩٠٦ و١٩٢٧ ... صحيح أن أحداً لا يعرف غيتريد باري . لـ
كانت امرأة جبران الغامضة ، لم يذكرها أحد حتى الآن . كانت تسكن بالقرب منا
بوسطن ، ولم يكن أحداً يعلم أنها عشيقته السرية . لقد التقاها عام « ١٩٠٦ » ، وبة
على علاقة حميمة جداً معها حتى عام « ١٩٢٧ » ، وعلى الرغم من ذلك لم يأت ء
ذكرها ولم نقرأ اسمها في أي مكان ، لا في مذكرات ماري هاسكل ، ولا في رسائله إ
أصدقائه ، ولا حتى في أحاديث الناس الذين عرفوه . هذه المرأة أخفاها جبران ء
الجميع ، وأبقاها حباً عميقاً له وحده ولمدة « ٢١ » عاماً ... وكانت علاقة كا
بينهما . وهذا واضح من نصوص الرسائل التي كتبها لها ، وكتبتها هي له بخط يده
تصف « الحرارة » « والشوق الملتهب » الذي كان يسود اللقاء . كذلك معي « محرمة
استعملها جبران بعد ممارسة الحب مع غيتريد ، احتفظت بها بين الرسائل والصو
والرسوم والأشياء الخاصة ، داخل صندوق صغير . وكلها اشتريتها من ابنة أختها .
وهذه الرسائل إلى غيتريد سأصدرها في كتاب ، وسوف يكون كتاباً جديداً ع
جبران ، ومختلفاً عن غيره . إذ سيتيح إدراك حقيقة علاقته الجسدية بتلك المرأة » .

ويقول خليل النحات ، أن نسيبه وعرّابه في المعمودية جبران ، كان يحب شقي
مريانا كثيرا . لكنه كان يخجل بها أمام الناس ، لأنها كانت أمية لا تعرف أن تكت
اسمها ، حتى أنه لم يدعها إلى يوبيله الفضي الذي أقيم في بوسطن فمريانا على ثرائم
كانت لا تهتم بنفسها ولا ترتدي الثياب الجميلة ، وتبدو في منظر رثّ ، يحزن جبران .

ويقول أيضاً : إن جبران كان يلعب « البيناكل » كل ليلة ، ويغش في اللع
أحياناً . ولم يكن متحرراً من سورة الغضب . إلّا أنه كان يتمالك أعصابه في اللحظا
الحرجة ، ولا يستعين بعضلاته . لقد ثار مرة في وجه رجل أغاظه ، فتناول عن طا
قربه ، دليل الهاتف الضخم . فظن الرجل أن جبران سيقذف به صوبه ، فابتعد عن
لكن جبران راح بنزق يمزق الدليل ، ثم رمى ببقاياه أرضاً . وتطلع إلى الرجل ، صارخ
مزقت الدليل حتى لا أمزقك أنت ، فاغرب عن وجهي .

أما لماذا لم يتزوج جبران ؟

فإن شقيقته مريانا التي أعالته من ثقب إبرتها وخيطها تجيب :

كل ما كنت أسأل جبران لماذا لا تتزوج ؟ كان يقول :

ــ لماذا أجعل من امرأة واحدة سعيدة ، ما دمت قادراً أن أجلب الفرح إلى كل النساء

كما أنه أجاب إحداهن عن سؤالها : لماذا اختار العزوبة ؟

ــ أنا رسّام وكاتب . فلو كانت لي زوجة ، لأبعدني الفن والأدب عنها ، ونسيت وجودها . وليس من امرأة مهما كان حبها كبيراً لرجل أن تتحمل زوجاً مثلي .

ورافقت جبران حتى بعد الشهرة ، عِقَدٌ عدّة ، منها عقدة قصر القامة . وعبثاً حاول البرء منها . وكان كلما التقى رجلاً طويلاً أو امرأة ممشوقة القد ، تنغص . وكثيراً ما أفصح عن تنغصه هذا ، للمقربين منه قائلاً : الطبيعة برغم كرمها ، لم تكمل نعمها عليّ

ويعلل جبران قصر قامته ، لحادثة وقعت له في صغره ، حالت دون إكتمال نمو جسمه ، وقصّها على ماري هاسكل ، قائلاً :

« لما كان عمري عشر سنوات ... ذهبت إلى دير برفقة ابن عمي وهو يكبرني بقليل . وكنا نسير على حافة مكان عال يرتفع ألف قدم . وكان هناك معبر له حاجز قديم . ولما كنا نجتازه ، هوى من تحت أرجلنا مع الحاجز ، ورحنا نتدحرج نحو « ١٥٠ » ياردة إلى أسفل . فابن عمي تحطمت ساقه ، وأثخنت أنا ببضعة جروح وخدوش في رأسي عميقة حتى الجمجمة ، وتحطمت كتفي . وبعد تجبيرها ، بقيت عوجاء أعلى من شقيقتها وبارزة إلى الأمام . ثم عمدوا إلى تصحيحها ، ففكوا لحمتها مرة أخرى بعضها عن بعض ، ثم لفوني على صليب بلفائف طولها نحو « ٣٠ » ياردة ، وبقيت هكذا طيّ اللفائف مصلوباً لمدة « ٤٠ » يوماً . ونمت وقمت وقضيت كل حوائجي وأنا جالس .... » .

ماري هاسكل ترفض الزواج من جبران

كانت لماري هاسكل ، قبل أن اشتبكت حياتها بحياة جبران ، كرمة واحدة هي مدرستها . وكانت تتعهدها بكلّ ما في فكرها من المقدرة وقلبها من الحنان . أمّا بعد أن عرفت جبران ، وأرسلته على نفقتها إلى باريس ، فأصبحت ولها كرمتان . وكان جبران كرمتها الثانية . وكانت كرمتها الثانية أحبّ إلى قلبها وأقرب إلى فكرها من الأولى . فالمدرسة ، مهما تعدّدت مشاغلها واتّسع نطاقها ، تبقى مدرسة تسير على برنامج محدود : أجيال تأتي وأجيال تروح ...

حين أن جبران لا نطاق له ، ولا برنامج للقوى التي تغلي وتفور في داخله . فما جلست وإياه مرة ، وأصغت إلى حديثه ، وتفرست في وجهه ، وتأملت حركاته ، إلّا أحسست بخمر جديدة تدبّ في أفكارها، وبأجنحة قوية تطير بخيالها... فما عادت تعرف أهي المحبة تربطها به ، أم الإعجاب يدنيها منه ، أم الشفقة نفتح قلبها له ... وتغلغلت في أفكارها عنه ، لم تجد للشهوة الجسدية فيها أثراً ... ولم تكن تدري أتغتبط لذلك أم تحزن ، أتحسبه نقصاً في نسوتها ، أم زيادة في قسمتها .

لم يكن يتعب ماري في علاقاتها مع جبران غير أمر واحد ، وهو أنها وجدته كثير الشكوك ، شديد الحرص على شخصيته ، يخشى عليها أن تُمسّ بأقل ملاحظة أو إشارة . حتى أنه ليستعدي صديقاً وفيّاً من أجل كلمة بريئة قد يخيل إليه أنّ فيها مسّاً بكرامته . ويستصدق عدوّاً لدوداً إذا سمع منه أو عن لسانه كلمة إطراء . وبقدر ما يستمر/ النقد من أي نوع كان، يستعذب المديح مهما كان مصدره، ويفعل المستحيل للحصول عليه ــ على حد تعبير الأديب ميخائيل نعيمة ــ .

أما هي ــ ماري ــ فمن طبعها البساطة والصراحة في كل شيء : في الفكر ، والكلام ، والمعيشة بكل مظاهرها . فهي لا تخجل من أن تقول الحق وإن كان عليها ... لا تداجي ، ولا تحابي ، ولا تسمي الأشياء بغير أسمائها . لكنها بعد أن خبرت جبران وميله إلى التمليق والموالسة ، وتبرمه من الصراحة إذا اشتمّ فيها ما قد يحسبه محطّاً بكرامته ،

أصبحت تخشى على علاقاتها معه أن تعبث بها كلمة من كلماتها السليمة النيّة ، أو إشارة من إشاراتها الصريحة الودية . ولم تشأ ــ بل لم يكن في وسعها ــ أن تغيّر طباعها فلا تقدّم يدها إلى جبران إلّا مقمطة بالحرير ليستنعم ملمسها ، ولا تخاطبه إلّا بكلمات مطلوة بالسكّر ليستعذب مذاقها .

على أثر عودته من باريس زار جبران ماري هاسكل فاستقبلته استقبال فاتح ... وراح يخبرها عن كل شاردة وواردة فاته أن يخبرها عنها في رسائله . وكان أغلب حديثه عن نفسه . عن كبار الفنانين والأدباء الذين التقاهم في باريس وعن رأيه فيهم وما قالوه فيه ... وعن كتاباته العربية وما أحدثته في العا لم العربي من تأثير ....

منذ ابتدأ جبران بالحديث وفي فكره ، وبين شفتيه ، كلمة تهمّ بالوثوب فيرجعها قائلاً لها : تصبري . تصبري . لم تأت ساعتك بعد . لعلك أكبر كلمة أفوه بها في كل حياتي ....

ظلّ جبران يحادث ماري ويترصّد الفرص لإطلاق سراح الكلمة التي في فمه إلى أن وقف الحديث عند حدّ يستدعي الصمت والتفكير . وإذْ أحس أن جليسته تمادت في التأمل أخذ فجأة يدها بيده ، وشدّ عليها ، ورفعها باحترام كلي إلى شفتيه فقبّلها . ثم أغمض عينيه ، وبصوت كأنه صوت القدر يعلن سراً عظيماً من أسرار الوجود ، قال :

ــ ماري ؟ أتمشين معي ؟

ــ إلى أين يا جبران ؟

ــ إلى حيث تدعونا الحياة

ــ أوتَعني الزواج يا جبران

ــ نعم . هل تقطعين معي الطريق حتى النهاية

ــ هل أنت نظيف يا جبران ... هل جسمك نظيف ؟

فَهِمَ جبران في الحال ما عنته ماري هاسكل بسؤالها . فقد قصدت أن تعرف إذا

كان خالياً من الأمراض الخبيثة . لكنه بلمحة طرف انقلب من حَمل وديع إلى نمر جريح .... فأربدّ وجهه ، وارتجفت شفتاه ، وتوترت أعصابه ، وتخدر دماغه ، حتى أنه لشدة انفعاله ، تمنى لو كان قطع لسانه قبل أن طرح على ماري سؤاله وسمع سؤالها .

ما كان قط يتوقع منها مثل ذلك الجواب . فهو وإن اتفق مع الأمنية الصامتة في قلبه ، لم يتفق مع تقديره لنفسه وتقديره لمحبة ماري له . فقد كان يظن تلك المحبة أرفع من محبة الذات . لا تخشى النار ولا العار في سبيل محبوبها . وكان يظن أن جبران خليل جبران إذا ما لّمح تلميحاً إلى إمرأة ما، كائنة من كانت، أنه يرضى بها رفيقة لحياته جعلها أسعد النساء . وها هو يعرض حياته على ماري ـــ « حبيبة نفسه » ـــ فتباغته بسؤال لو باغتته بمثله امرأة سواها لبصق في وجهها ، أو أدمى وجهها ، مع كل ما فيه من تأدب وحشمة . كيف تجسر امرأة ـــ وماري من بين كل النساء ـــ أن تشك في « نظافته » ـــ تقصد إن كان مصاباً بالسل أو الزهري ـــ إنها لقحة ما بعدها قحة . إنها لطعنة نجلاء في كبد كبريائه .

والجدير بالذكر .. أن ماري هاسكل هي التي أرسلت جبران إلى باريس على نفقتها ليتعلم أصول الرسوم ، وهي التي أوصى لها جبران بكل ما يوجد في مرسمه من لوحات وكتب وأشياء فنية ، على الرغم من أنها رفضت عرضه في الزواج منها ، وتزوجت برجل أرمل يدعى فلورانس مينس سنة « ١٩٢٦ » ، وتوفيت في ٩ من تشرين الأول (اكتوبر) سنة « ١٩٦٤ » . وكانت ماري هاسكل قد أودعت قبل وفاتها الرسائل التي تبادلتها مع جبران ، في مكتبة جامعة (نورث كارولينا تشابيل هيل) ، حيث بلغ عدد هذه الرسائل أكثر من « ٦٠٠ » رسالة ، إلى جانب أوراق ومخطوطات ووثائق ويوميات ، تتعلق بها وبجبران .

جبران يتحدث عن الحبّ من خلال كتابه (النبي)

قالت ألمطره ، حدثنا عن الحب .

فرفع رأسه ونظر إلى الجموع حوله ، فخيَّم عليها السكون

وبصوت عظيم قال لهم :

متى يناديكم الحبّ فاتبعوه ،

ولو كانت طرقه وَعْرةً ومحفوفةً بالمخاطر .

وإذا طواكم بجناحيه فاستسلموا له ،

ولو كان السيف المختبئ بين قوادمه قد يجرحكم .

ومتى يخاطبكم فصدّقوه ،

ولو بدّد صوته أحلامكم كما تبدد ريح الشمال أزهار الحديقة .

فكما يتوّجكم الحب ، كذلك يصلبكم . وكما أنه لنموّكم ، كذلك هو لتشذيبكم .

وكما يتسلق أعاليكم ويداعب أغصانكم التي ترتعش في الشمس ،

كذلك ينحدر إلى جذوركم ويهزُّها وهي تتمسك بالأرض .

وكحُزَم القمح يجمعكم إلى ذاته ،

ويدرسكم ليجعلكم عراة .

ويغربلكم ليحرركم من قشوركم .

ويطحنكم إلى بياض .

ويعجنكم حتى تلينوا

ثم يضعكم في ناره المقدّسة ، حتى تصيروا خبزاً مقدساً ...

كلّ هذا يصنعه الحب بكم لتتعرفوا إلى أسرار قلوبكم ، وفي هذه المعرفة تصيرون بعضاً من قلب الحياة .

الحب لا يعطي إلّا نفسه ، ولا يأخذ إلّا من نفسه .

الحب لا يملكه شيئاً ولا يملكه شيء ،

لأن الحب يكتفي بالحب

....

الحب لا يطمح إلّا إلى تحقيق ذاته

أمّا إذا أحببت وكان لابدَّ لك من مطمح ،

فليكن هذا :

أن تذوب وتكون جدولاً لا يردّد أنغامه في أُذُن الليل ،

أن تعرف لوعة الحنان المتناهي ،

أن يجرحك فهمك أنت للحب ،

وأن ينزف جرحك برضىً وفرح ،

أن تنهض مع الفجر بقلبٍ مجنَّحٍ وتحمد الله على يوم آخر من الحب ،

أن تستريح عند الظهيرة وتتأمل نشوة الحب ،

أن تعود إلى بيتك في المساء شاكراً ،

وعلى شفتيك أغنية مديح .

ماري هاسكل بريشة جبران

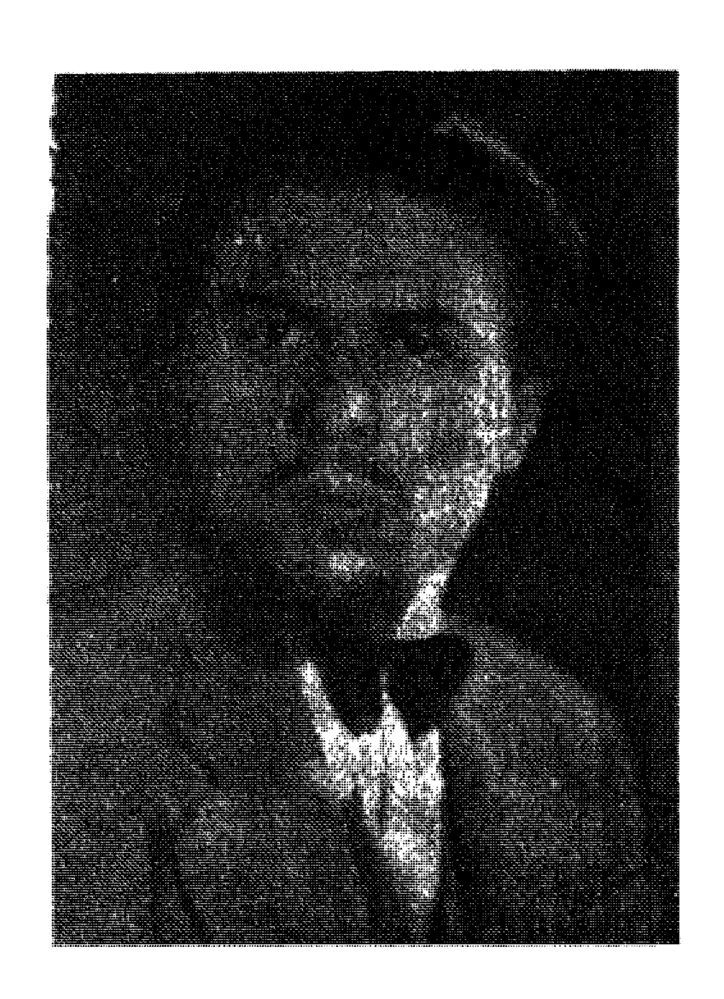


سلطانة تابت بريشة جبران



ميشلين بريشة جبران

اسماعيل أدهم :
نهاية غامضة وميتة شاذة



الزمان :

الساعة السابعة من مساء يوم الثلاثاء « ٢٣ » تموز (يوليو) عام « ١٩٤٠ » .

المكان :

شاطئ البحر الأبيض المتوسط في الاسكندرية .

الحدث : .

أحد المواطنين ... يسير بجوار الشاطئ ... وبيده كمية من « الشيكولاته » ، يأكل منها بشهية واضحة ، وكلما قابله طفل أعطاه قطعة من الحلوى ... وربما داعب شعر الطفل بحنان ابوي .

كان على شفتيه مشروع ابتسامة غامضة .... ولكن إذا تأمل الإنسان هذه الابتسامة الباهتة التي تزين الوجه الوديع الشاحب لوجد وراءها شعوراً عميقاً بالعذاب النفسي ، والقلق الوجودي ، ورغبة للانفجار بالبكاء حتى حد الإعياء .

المفاجأة :

وفوجيء الناس ـــ الذين كانوا يتـنزهون ـــ بالرجل الذي كان يمنح الأطفال « الشيكولاته » والابتسامات ، يلقي بنفسه في البحر دو سابق إنذار ... فيبتلعه البحر .. وتدميه مخالب الأمواج .. ويحاول بعض المتطوعين انقاذه ، فتخفق محاولاتهم الشجاعة ... وينجح رجال الشرطة والاطفاء بعد ساعات بالعثور على جثته الباردة وقد زاد وزنها ... ويعثر « البوليس » في ملابسه على رسالة شخصية منه إلى رئيس النيابة ، يخبره بأنه انتحر لزهده في الحياة وكراهيته لها

بطل القصة الغامضة :

في صباح اليوم التالي ... نعت صحف القاهرة وفاة العا لم الشاب الدكتور إسماعيل

أحمد أدهم ، عضو أكاديمية العلوم الروسية ... وتهتز الأوساط الثقافية العربية لهذا النبأ المحزن ، ويكتب الأديب العربي السوري سامي الكيالي ، كلمة رثاء في مجلة (الحديث) الحلبية يقول فيها :

« شـاب في حدود الثلاثين ، مغولي الوجه والسحنة ، أقرب إلى القصر منه إلى الطول ، وإلى الهزال منه إلى البدانة ، تقرأ في وجهه سياء العلماء الذين أنهكهم الدرس وأضناهم التفكير . سريع الحديث قوي الحجة ، ولوع بالجدل والمناظرة . يكتب في اليوم أكثر من مائتي صفحة في مختلف الموضوعات ... لقد عمل الدكتور أدهم في حقبة قصيرة ما يعمله العلماء الأفذاذ في سنوات طويلة .. وكأنه عمل جهود أربعين سنة في أربع سنوات ... » .

مولده ونشأته

ولد إسماعيـل أدهم ــ كما تقول الرواية الرسميـة في « ١٧ » شبـاط (فبراير) عام « ١٩١١ » بمدينة الاسكندرية ، من أب تركي وأم ألمانية ، فوالده أحمد بك أدهم ، كان من امراء اللواء في الجيش التركي سـابقاً ، ووالدته السيدة ايلين فانتهوف كريمة البروفسور الشهير عضو أكاديمية العلوم البروسية .

وقد تلقى الطفـل أدهم إسماعيـل دراسته الابتدائية في مصر ، والثانوية بين مصر وتركيـا ، والعـاليـة في روسيـا ، حيث درس الريـاضيـات بجامعـة موسكو ، ونال (الدكتوراه) منها . ثم عاد إلى مصر عام « ١٩٣٥ » ، وراح يكتب مقالات أدبية ... ودراسات نقدية .. في صحف محلية ومجلات عربية .

السـؤال الذي يطرح نفسـه : كيف استطـاع إسماعيـل أدهم أن يحصـل على (الدكتوراه) من جامعـة موسكو في العـلوم والفـيزياء والرياضيـات ، وهو في الثانية والعشرين من عمره ؟ ثم (الدكتوراه) الفخرية في الأدب وهو في الخامسة والعشرين من عمره علاوة على ذلك كيف عين كأستـاذ للرياضيـات في جامعـة ليننغراد، وانتخب

عضواً لأكاديمية العلوم للجمهوريات السوفياتية ؟ وكيف استطاع أن يجيد اللغات : العربية ، والتركية ، والفارسية ، والألمانية ، والانكليزية ، والايطالية ؟

وكيف تم له هذا كله قبل عودته إلى الاسكندرية عام « ١٩٣٥ » ، حيث أقام هناك حتى انتحاره الغامض ، بل كيف هجر ذلك الماضي العلمي العريق ، ليحترف الكتابة في الأدب والنقد والفلسفة ، وليشارك في خصومات نقدية ساخنة وجريئة مع أدباء عصره ـــ على حد تعبير الدكتور علي شلش ـــ .

وفي هذا الشأن يذكر العديد من الأدباء الذين عاصروا إسماعيل أدهم ، أنه كان فقيراً ، ولم يسبق له زيارة زيارة الاتحاد السوفياتي أو أية دولة أوروبية ، وهو لا يعرف من اللغات سوى : العربية ، والتركية ، والانكليزية بصورة محدودة ، وإن استعمل في مقالاته بعض الاصطلاحات النقدية الأجنبية ، بهدف إيهام القراء وتضليلهم ... وإنما انتحل هذه الصفة العلمية ليحظى باهتمام القراء والوسط الثقافي ، وليسهل عملية نشر مقالاته في الصحف والمجلات المصرية والعربية ...

ويبدو أنه نجح في تمثيل دوره بإتقان ، بدليل أن أصحاب المجلات والصحف كانوا ينشرون ما يجود به قلمه باهتمام ... ومن اين للناس أن يعرفوا الحقيقة ومصر لم تكن على علاقة دبلوماسية مع الاتحاد السوف[illegible] حـ[illegible] ام « ١٩٤٥ » ، أي بعد انتحار أدهم إسماعيل بخمس سنوات ، ـــ على حد تعبير الأديب الناقد رجاء النقاش ـــ . وفي المقابل يؤكد بعض من كتب السيرة الذاتية لاسماعيل أدهم أن والدته ألمانية ، وأن والدها عالم مشهور .

من مؤلفاته المطبوعة

الزهاوي الشاعر .

طه حسين ، دراسة وتحليل .

لماذا أنا ملحد ؟

علم الأنساب العربية .

نظرية النسبية الخصوصية .

لماذا انتحر إسماعيل أدهم ؟

هناك تفسيرات شتى .. وآراء عديدة .. فمنهم من ردَّ ذلك إلى القلق النفسي . ومنهم من ردّه إلى مرضه بالسل الرئوي . كما ردّه البعض إلى ضيق ذات يده ، وعجزه في تأمين المنزل الذي يحميه ، أو إلى تضييق السلطة العسكرية البريطانية عليه نطاق المراقبة ، بسبب اتصاله بإذاعة (باري) الإيطالية الفاشية ، أو ربما أيقن أن مهمته الفكرية قد انتهت ، وأنه أدى واجبه العلمي كمفكر ، فاستسلم لصخب الأمواج ...

أخيراً ....

وعلى الرغم من غموض شخصيته المركبة ، وملابسات انتحاره الشاذ ، وكثرة الاتهامات التي وجهت إليه ، فإنه ترك مؤلفات قيمة ، ودراسات هامة ترشحه لأن يكون أحد روّاد النقد العربي الحديث . ولعلّ مقدمته الرصينة التي تصدرت كتاب (سيف الدولة وعصر الحمدانيين) لمؤلفه الأستاذ سامي الكيالي ، تؤكد صحة ما ذهبنا إليه .

مقدمة

بقلم

الدكتور اسماعيل احمد ادهم

عضو أكاديمية العلوم الروسية

*****

في نفوس الناس اليوم صورة جديدة عن التاريخ ، وهي صورة على الرغم مما فيها من الغموض والابهام ، فأنها صادقة الدلالة على التطور الذي حدث في نفوس الناس فجعلهم لا يطمئنون الى اعتبار التاريخ مجرد الرواية للماضي وتدوين حوادثه كما كان يفعل القدماء من مؤرخي العرب ، وكما هـو الحال في الآثار التي تمت الى التاريخ بصلة، والتي انتهت الينا من مؤرخي العصور الوسطى من كتاب الاسلام.

على ان هذه الصورة الجديدة ، تعود بأصل من جهة ، لتغير مفهوم التاريخ في الغرب . ماشتها من جهة أخرى أسباب في الشرق الادنى فجعلتها تأخذ من هذا التغاير بطرف . وأم هذه الاسباب : التحـول الحادث في الشرق الادنى . ونقطة التحول يقظة العالم الناطق بالعربية بعد فترة خمسة قرون ذهب يغط فيها نومـاً . وكان تحركه نتيجة تفاعل حضارته التي خرج بها من ماضيه والتي تحجرت مع الزمن في صورة جامدة مع الحضارة الاوروبية التي كانت تغزو الشرق بقوة .ومن هنا كانت التيارات المتباينة التي اخذت تجتاح جـو الشرق الأدنى . والتي كانت تسمح بأقامة بيئات ثقافية مختلفة ، وهكذا كان هذا العصر في تاريخ الشرق الأدنى فترة من الزمن تسمح للعبقريات ان تظهر ، وللأذهان الألمعية ان تبدو وقد أخذ الصدأ الذي تراكم على أهل المشرق ينجـلي تحت تأثير مدنية الغرب الجارفة .

ـ أ ـ

صفحة من كتاب (سيف الدين وعصر الحمدانيين)

الأدب الشعبي
في حياة حفني ناصف



كان المرحوم حفني ناصف (١٨٥٥ ـ ١٩١٩) من أوائل الأدباء الذين عنوا بمعالجة الأدب الشعبي في مصر ، وقد خلف آثاراً رائعة من الزجل والأغاني والفوازير والألغاز وغيرها من ألوان ذلك الأدب .

لقد جرت مساجلات زجلية كثيرة بين حفني ناصف وبعض أدباء عصره وأصدقائه . وكان من أصدقائه المرحوم محمد صدقي (باشا) الذي كان مستشاراً فوزيرا . وكان يقول الشعر والزجل . وحدث أن حفني بك حين كان قاضياً في طنطا سرق منه بعض المال ثم أعيد إليه ، فبعث إليه محمد صدقي زجلاً هنأه فيه بذلك . فردّ عليه بزجل قال فيه :

يا عم أنا مالي مُسوكرْ ⠀⠀⠀ مال الشّقا ، ماليش غيرُه
ما فيهش «خمسة» م «البوكر» ⠀⠀⠀ ولا «جديد» جِهْ م «الزّيرو»
قارِي عليه «العدّيّة» ⠀⠀⠀ ومحفّضه «بالطّشطوشي»
تروح وتيجي النقديّة ⠀⠀⠀ واللص يطلع «بلّوشي»
يتعبْ، ويشقى، ويتشَحططْ ⠀⠀⠀ ويظن أنه صادْ صيدَه
ويفوق ... يلاقيه «اتربّطْ» ⠀⠀⠀ ولا يُتوبه إلّا الكيدَه

وحينما كان حفني بك وكيلاً لمحكمة قنا ونقل منها إلى أسيوط ، كتب إلى صديقه المرحوم الشيخ أحمد القوصي زجلاً هنأه فيه بالنقل وأسف على فراقه ، فردّ عليه قائلاً :

يا سيّد أحمد يا قُوصي ⠀⠀⠀ ما حدّ زيّك في الدّنيه
أهديك ولاِئي وخلوصي ⠀⠀⠀ وميت سلام لك بالعِنْيه
الحق أن بلادكم عال ⠀⠀⠀ فيها الأدب واخِذْ حدّه
ما حدّ فيها عمرُه قال ⠀⠀⠀ كلام كتير ما هُوش قدّه

« فوازير » ــ ألغاز عامية

وقد لا يعرف الكثيرون أن كثيراً من « الفوازير » أو الألغاز الموضوعة باللغة الدارجة ، مما شاع خلال نصف القرن الأخير ، كانت من وضع حفني ناصف ، صاحب الفضل في إعادة طبع المصحف الشريف برسم عثماني ، ومبتكر الإنشاء القضائي في مدرسة الحقوق ، وواضع أساس تاريخ الأدب العربي والنحو المبوب ، وأحد مؤسسي الجامعة المصرية الأولى والمجمع اللغوي والنادي الأول لدار العلوم .

ومن هذه الفوازير « قوله في الناموسية » : « قد الفيل وينصر في منديل » . وفي (الكتابة) :« قد النمنمة وتجيب الخيل ملجمة » . وفي (الشمعة) : « ست الزين والزين جلاسها . ان لفحها الهوا ماتت ، وان عاشت قطعنا راسها » . وفي (المعلقة) : « حماره شايله زيارة . هي دخلت وديلها ما دخلش » .

نكت وفكاهات

أما نكته وفكاهاته ومفارقاته فكانت حديث المجالس طول حياته . وهي كثيرة لا تحصى نذكر بعضها فيما يلي :

ــ ضمه يوما مجلس سمر ، ودخل أحد الثقلاء قائلاً : « بونجور عليكم » . فقال أحد الحاضرين : « هي بونجور تحش على عليكم؟ » فقال حنفي بك : « بونجور هنا بمعنى اخص » .

ــ وجاء يوماً من سفر ، وذهب لتوه إلى حفلة حان موعدها ، فأسر إليه أحد أصدقائه هناك ملاحظاً آثار السفر على حذائه ، وسأله صديق آخر عما أسر إليه ذلك الصديق الأول ، فأجاب بقوله : « دي ملحوظة ع الجزمة » .

ــ وألف مع بعض زملائه الموظفين المنسيين جمعية سموها « جمعية المستحمرين » . ثم أبدى له مستشار سابق رغبته في الانضمام إلى هذه الجمعية ، فقال له : « حضرتك جيت بعد فوات الأوان لأن الجمعية خاصة باللي لسه مستحمرين » .

يشترك في نظم الأغاني

والثابت أنه اشترك في نظم بعض الأغاني التي لحنها وغناها (عبده الحمولي) ، و(محمد عثمان) وغيرهما في عصره . ويذكر أنه كان يوماً في « رأس البر »مع طائفة من إخوانه ومن بينهم المرحوم (حسن أنور) . وكان هذا يلحن حينذاك الأغنية المشهورة « البحر يضحك ليه وأنا نازلة أدلع املا القلل » . فاقترح الحاضرون على حفني بك أن ينظم بيتين من الزجل لاكمال تلك الأغنية ، فارتجلهما ، ولحنهما (حسن أنور) ، وهما :

مـــاشـــي كده وعيـنــه مني	وعـــامـــل انــه مخاصـمـني
وكل يـــوم يســــأل عـــني	وأنـــا نـــازله أدلع أمـــلا القـــلل

شعره الفكاهي

ولحفني ناصف شعر فكاهي لا يقل روعة عن شعره الجدي ونثره الفني البليغ . ومن ذلك أنه كانت تصدر في مصر صحيفة تدعى الجنان (جمع جنة) . وقد كتبت تحت اسمها هذين البيتين :

إليك صحيفـة نشـرت حديثـا	وأغنت بـالسماع عن العـيـان
كفـردوس حـوى ثمرا شـهيـا	لـذاك دعـوتهـا بـاسـم الجنـان

فاقترح عليه أحدهم في أحد مجالس أنسه أن يشطر هذين البيتين تشطيراً يقلب معناهما من مدح إلى هجاء فكتب ما يلي :

« إليك صحيفـة نشرت حديثا »	غنـيـا بـالخراف عن البـيـان
أبـانت عن مســاوئ منشـئيهـا	« وأغنت بـالسماع عن العيـان »
« كفـردوس حوى ثمرا شـهيـا »	وأكثره يمـر عـلى الـلســان
وتـورث عقــل قـارئها اختـلالا	« لذلك دعوتها باسـم الجنـان »

شاعر من الأردن

عرار
أو مصطفى وهبي التل

شاعر التمرد وصاحب النوَّر ، والصعاليك



ولد مصطفى وهبي التل في مدينة اربد شمالي الأردن عام « ١٨٩٩م » ، ونشأ في بيت كان يضم جده وزوجاته ووالديه اللذين كانا يعيشان في خصام ومشاكسة جعله ينفر منهما ، ويتعلق بجده الذي كان يعطف عليه ويصحبه في نزهاته وأسفاره الداخلية .

تلقى مصطفى تعليمه الابتدائي في اربد ، ثم سافر إلى دمشق لمتابعة دراسته في مدرسة (مكتب عنبر) . وخلال دراسته بدمشق شارك رفاقه في الحركات النضالية العفوية التي كانوا يقومون بها ضد الأتراك ، الذين حاولوا إذابة الشخصية العربية ، فنفي على أثر إحدى هذه الحركات إلى بيروت ، وبقي هناك عدة أشهر ... ثم عاد إلى دمشق غير أن والده طلب منه بإلحاح العودة إلى اربد ليعمل في مدرسة خاصة كان قد أسسها الأب .

اشتد الخلاف بين شاعرنا ووالده ، فغادر اربد متوجهاً إلى تركيا في عام « ١٩١٧ » ، وهناك تعرف بزوجته الأولى ــ تزوج مصطفى أربع مرات ــ ثم دفعه الحنين للعودة إلى اربد عام « ١٩١٩ » .

واستطاع خلال هذه المدة أن يقنع والده بضرورة إرجاعه إلى مدرسته بدمشق لمواصلة تعليمه . فسافر إليها في العام الدراسي « ١٩١٩ ــ ١٩٢٠ » ، ولكن عودته صادفت ثورة طلابية شارك فيها ، مما جعلت السلطة الاستعمارية تنفيه إلى حلب ن ومكث فيها نحو العام وغادرها بعد أن حصل على الشهادة الثانوية من المدرسة السلطانية بحلب .

عاد إلى اربد وعمل في التعليم ... ثم انتقل للعمل في سلك القضاء ابتداء من عام « ١٩٣٣ » وحتى عام « ١٩٤٤ » حيث استقال من وظيفته على أثر مشادة حامية الوطيس بينه وبين أحد المسؤولين السابقين ، واقتيد إلى السجن حيث ظل وراء القضبان نحو سبعين يوماً .

بعد أن خرج مصطفى وهبي التل من السجن ، افتتح مكتباً خاصاً لمزاولة المحاماة في العاصمة الأردنية عمان . وكان أكثر زبنه من الغجر .. واللصوص .. والمفلسين .. والفقراء ..

توفي الشاعر بتاريخ ١٩٤٩/٥/٢٤ ونقل جثمانه إلى اربد حيث دفن في (تل اربد) حسب وصيته . وتجدر الإشارة إلى أن مصطفى اختار لقبه الشعري (عرار) من قول الشاعر عمرو بن شاش الأسدي في ابنه عرار :

أرادت عراراً بالهوان، ومن يرد عرار، لعمري، بالهوان فقد ظلم

أما ثقافة (عرار) فكانت واسعة فلقد درس الكتب بالمقدسة ، واطلع على أمات كتب التراث العربي ... وكان له شغف خاص باللغة العربية وشواردها وكشف أسرارها . كما واهتم بدراسة الأدب التركي والأدب الفارسي بصورة خاصة حيث ترجم من اللغة الفارسية إلى العربية « ١٢٥ » رباعية للشاعر الإيراني عمر الخيّام .

نشأ (عرار) ساخطاً على والده الذي حرمه من حنان والدته، ومتمرداً على مجتمعه الذي وجد فيه القهر والاستغلال ، لذلك وقف الشاعر إلى جانب أبناء الشعب ، ووقف إلى جانب المظلومين ، ونذر نفسه للدفاع عنهم ، ونادى بالعدالة الاجتماعية ، حتى الغجر « النَوَر » طالب بمنحهم حقوق المواطنة ، ولم يكن مصطفى وهبي التل (عرار) يبخل بماله على محتاج أو « صعلوك » ، حتى لقد كان الواحد من هؤلاء يستطيع أن يمدّ يده إلى جيب (عرار) ، ويأخذ من نقوده ما يشاء من دون استئذان ، فإذا احتاج (عرار) إلى نقود فهو لايبالي أن يأخذها ممن يشاء ، من دون نيّة في ردّ المال إلى أهله ، فقد كانت حياته اشتراكية مسالمة رائعة ، وكانت ملأى بالطرائف ، والمتناقضات والانطلاقية البوهيمية العجيبة ــ على حد تعبير الأستاذ الأديب عيسى الناعوري ــ .

وفي المقابل ، هاجم المرابين الجشعين ، الذين يمتصون دماء الفقراء ، ويلهون على حسابهم وها هو يخاطب المرابين قائلاً :

قولوا لعبُّوا ــ علَّ القولَ يشفيني ــ إن المرابين إخوان الشياطين

وإنهم — لا أعز الله دولتهم — قد أطلعوا ، رغم تنديدي بهم ديني
كأنما الناس عُبدانٌ لدرهمهم وتحت أقدامهم نص القوانين
يا رهط شيلوكَ من يأخذ بناصركم يجْنِ على الحق والأخلاق والدين
ومن يسهِّلُ أمراً فيه مصلحة لكم ، فملعونٌ حقاً وابنُ ملعون
أأسجن الناس إكراماً لخاطركم وخشية العزل من ذا المنصب الدون
إن الصعاليك إخواني ، وإن لهم حقاً ، به لو شعرتم لم تلوموني

ومناسبة هذه القصيدة ، أنه كان مرةً مأمورَ إجراء في دار العدلية في مدينة اربد وقضاء عجلون كان يكثر المرابون ، ويكثر الفقراء الذين يستغل المرابون أملاكهم واراضيهم أبشع استغلال ، بحيث كان الفلاح الفقير يحيا في خوف دائم من فقدان أرضه تسديداً لديونه التي تتزايد عاماً بعد عام . ومن لهؤلاء القرويين المساكين غير (عرار) مأمور الاجراء القضائي الطيب القلب ، لينقذهم من جشع المرابين ؟

ولقد كان (عرار) عند حسن ظنهم ، فقد كانت نفسه تثور لهذا الجشع المجرم . وفي إحدى المرات جمع المرابين الذين استحقت ديونهم ، وأخذ منهم « الكمبيالات » المستحقة زاعماً أنه سيحصلها لهم كلها مرة واحدة . فلما تكاملُ عددها بين يديه قذف بها جميعاً إلى نار المدفأة أمامه ، وليكن بعد ذلك ما يكون . وتجدر الإشارة إلى شعر (عرار) مليء برائحة الخمر ، والتغزل بها ، وكانت الكأس رفيقته في صحته ومرضه ، وكان يسخر من الأطباء إذ ينهونه عن الخمر فيقول :

قال الأطباء: لا تشرب فقلت لهم الشرب لا الطب شافاني وعافاني

المدينة الفاضلة

ويكتشف (عرار) أن الحياة في مضارب الغجر (النّوَر) أفضل له من البقاء في مدينة ظالمة أذاقته العذاب والتشرد والنفي ... في مدينة تسود علاقاتها الإنسانية الخداع والالتواء والنفاق ، فأضحى يقضي أيامه عند (النّور) ثم يعود إلى المدينة ليواجه مجتمعه

ويتحداه ، وحين يفشل فإنه يعود إلى اصدقائه الغجر بلهفة ، لأنه رأى في مجتمعهم وتقاليدهم ومناخهم النفسي ونمط حياتهم مدينته الفاضلة :

بـين الخـرابيش لا عبـد ولا أمـة ... ولا أرقــاء في أزيــاء أحــرار
ولا جنــاة ولا أرض يضرجهــا ... دم زكي ولا أخــاذ بــالثــار
بين الخرابيش لا حرص ولا طمع ... ولا احـتراب على فلس ودينـار
الكــل زط مســاواة محققــة ... تنفي الفـوارق بين الجـار والجـار
بـين الخرابيش لا كذب ولا ملق ... ولا وشــاة ولا روّاد أخبــار
بــين الخرابيش لا حـبر ولا ورق ... ولا يـراع ولا تـدوين أسـفــار
ولا سفاسف كتب أذهبت عمري ... قـراءة بــين تـوريـد وإصـدار
و« الهـبر » يرفل في نعمى تشـرده ... بـين الكـواعب محفـوفاً بـأقمـار
تداعب الطبـل سـكرانا أتـأمله ... فإن صحا غِبّ من صهباء مزمار

في رثاء زعيم النَّوَر

لقد خلق (عرار) من نفسه شخصية أسطورية كلية تموج بالألوان ، حتى أن هذه الأسطورة التي صنعها بنفسه صارت في نظر أصدقائه ومعاصريه أكثر أهمية من شعره . ولعلَّ هذه القصص والحكايات تثبت صحة ما ذهبنا إليه .

ذات يوم سمع (عرار) أن صديقه « الملقب بالهبر » وهو من زعماء الغجر ، قد مات فرثاه بقصيدة نشرتها جريدة « الأردن » في « ٢٧ » كانون الأول عام «١٩٣٤ » نختار منها :

أين جمشـيـد أين كايو كبـاد؟ ... أين زالا؟ جميــعــا وبــادوا
وعلى الهـبر قد رســا مثـلهـم ... بـالأمس في مصـفق المنون المزاد
لم تفـطـر مـرائـر الـزط لمـا ... غيبــوه ولا أنفــرت أكبــاد
ودوى طبــلهــم كما كان يدوي ... يــوم لــلهــبر كانت الأمجاد

واستمر الندمان يسقون صرفا		من رحيق كرومه (جلعاد)
ومضى عازف الربابة يشدو		لحنه وانبرت لرقص سعاد
هبر ، حتى حمير قومك إذ		تنشج مغزى نشيجها انشاد
مت كما شئت فالندامى بلهو		ليس من شأنهم عليك الحداد
لا تخف ظلمة القبور ففيها		يتساوى الأفذاذ والأوغاد
وينام الصعلوك جنباً لجنب		والسراة الذين شادوا وسادوا

فكانت لهذه القصيدة ضجة كبيرة في الوسط الثقافي ، فقد اعتاد الناس أن يسمعوا الشعراء يرثون العظماء والقادة والوجهاء ، لا زعماء الغجر ... والصعاليك ومن الطريف أن (عراراً) طلب من صديقه الشاعر الكبير عبد الكريم الكرمي الملقب بـ (أبي سلمى) أن يرثي (الهبر) فقال (أبو سلمى) :

ـــ أما أرثيه فأنا مستعد على شرط أن أسهر ليلة نورية وأرى ابنته ترقص وتغني ؟

فتاة جريئة

وفي قصة ثانية تظاهر (عرار) بأنه متسول وجلس على رصيف البريد المركزي في عمان وراح ينشد بصوت عالٍ :

ـــ نظرة لله ... لفتة لله ... قبلة بريئة لله .... فأحدث كلامه ذعراً حقيقياً لدى الأوانس ... وأخيراً مرت أمامه فتاة سمراء ويبدو أنها جريئة ، فحققت رغبته وكشفت عن نقابها ، فخفق قلب (عرار) وأنشد يقول :

ظبيات وادي السير هل نفرت		من سر بكن الظبية السمرا
فهي التي خطت أناملها		في سفر حبي آية غرا
سكرانة الألحاظ مرحمة		حني علي بنظرة سكرى
من عينك اليمنى فإن بخلت		فتصدقي من عينك اليسرى
وإذا مددت إلى يديك يدي		فتلمسي لتسولي عذراً
فحياة أمثالي إذا صفرت		من عطف مثلك أصبحت صفراً

وسام النهضة

وذات يوم ارتدى (عرار) لباس « السموكنغ » ، وبعد أن ثمل ورهط من زملائه في إحدى حانات عمان ، اتجهوا نحو مضارب الغجر ، وعلى أنغام الدف والرباب والمزمار ، وتلاحم الأكواب بالأكواب ، قام (عرار) بإهداء وسـام النهضـة من الدرجة الثالثة ــ وكان قد حصل عليه ــ إلى صديقه « الهبر » ، وعلى نغمات البزق ورقص النورية « سعاد » قلد « الهبر » الوسام .

الزوجة المنكوبة

والقصة الأخيرة عن (عرار) أنه تزوج فتاة شركسية كانت تحلم بالحصول على المجوهرات والذهب وتتزاور مع الأسر الارستقراطية ... وذات يوم حصل (عرار) على مبلغ كبير من المال ، وبدلاً من أن يحقق أمنية زوجته ، وزع المال على الفقراء ، والغجر ، وأصدقاء الحانة ...

وحين علمت سلمى بما فعل عرار ، أغلقت الباب على نفسها وبكت بكاء مراً ، وبعد أيام طلقها (عرار) كاحتجاج منه على سلوكها المادي وعدم احترامها لمواقفه .

مجنون « سعاد » وصفحات مطوية من حياة زكي مبارك



ولـد أديب العربيـة الكبـير الدكتـور زكي مبـارك (١٨٩٢ ـــ ١٩٥٢) في « سنتريس » وهي إحدى قرى الريف المصري . وكان عاشقاً ووفياً لهذه القرية المغمورة التي خلدها في العديد من مؤلفاته ..

وكان والده الشيخ عبد السلام مبارك ، قد نذر أن عاش له ولد بعد أن فقد جميع أبنائه أن يهبه للقرآن الكريم ... فحفظه وهو في السابعة عشرة من عمره ، مما رشحه لأن يلتحق بالأزهر .

الدراسة في الأزهر

وكان الأزهر قبل إنشاء الجامعة المصرية ، هو المعهد العلمي الأول ، الذي يقصده الشباب من أجل أن يتثقفوا، وينهلوا من ينابيع التراث العربي الإسلامي، وهناك تفوق على زملائه ، وأصبح يفوز في كل مسابقة شعرية ... وفي تلك المرحلة تجلى طموح زكي مبارك ، فقرر التمرد على المناهج القديمة .. فاتجه إلى دراسة اللغة الفرنسية ، معتمداً على جهوده الذاتية ، وأجادها وقرأ بها روائع الشعر الفرنسي .

في الجامعة المصرية

وبعد أن بقي في الأزهر عدة سنوات ، التحق بالجامعة المصرية سنة « ١٩١٦ » بصفة رسمية ، فاتصل بالثقافتين العربية والفرنسية . ولم يكن في الجامعة المصرية وقتئذ من الجنس اللطيف سوى (ميّ زيادة) الكاتبة اللبنانية الرقيقة التي صحبته أربع سنوات ... ولم يك يقدر على مخاطبتها من طلبة الجامعة سوى زكي مبارك

بداية الصدام مع الدكتور طه حسين

كان زكي مبارك يشبه الحصان الجامح في اندفاعه وجرأته وعنفه ... ومن ذكرياته الطريفة في هذه المرحلة :

في السنة الأولى من كانون الثاني عام « ١٩١٩ » وقف الدكتور طه حسين يلقي محاضرة ، فأعلن أنه عزم على إحياء التراث اليوناني القديم ، لأنه يؤمن إيماناً جازماً أن مرجع الفكر في الشرق والغرب يعود إلى القدماء من مفكري اليونان

وما كاد الدكتور طه يفرغ من محاضرته حتى نهض الطالب زكي مبارك فردّ على الدكتور طه حسين رداً خطابياً رائعاً هاجم فيه رأي الدكتور طه ودحضه مما أثار إعجاب الطلبة ... ولم ينس الدكتور طه هذه الواقعة .. بل حفظها له في ذاكرته ، فأسقطه في امتحان « الليسانس » أكثر من مرة

الدكتوراه الأولى

وبعد أن نال شهادة « الليسانس » في العلوم الأدبية سنة « ١٩٢١ » ، رغب بنيل شهادة الدكتوراه ، وبعد ثلاث سنوات من السهر والمتابعة والبحث قدم رسالته « الأخلاق عند الغزالي » فنال بها درجة الدكتوراه بتقدير جيد جداً . وقد اتصل الدكتور زكي مبارك بالصحافة منذ بداياته الأدبية ... وكان جريئاً في مقالاته يكره النفاق ... أو أن يكون ألعوبة بأيدي الآخرين .

السفر إلى باريس

وعين في عام « ١٩٢٥ » أستاذاً مساعداً للمستشرق الفرنسي « كازانوفا » الأستاذ بالجامعة المصرية آنذاك . وبعد عامين سافر إلى باريس من أجل الدراسة . وبعد خمس سنوات من المعاناة والبؤس والجوع ، نال درجة الدكتوراه بدرجة شرف أولى من جامعة السوربون ، عن كتابه (النثر الفني في القرن الرابع) . وفي هذا الصدد يقول المستشرق ماسينيون :

« إنني حين أقرأ بحوث طه حسين أقول هذه بضاعتنا ردت إلينا وحين أقرأ بحوث زكي مبارك أشعر بأنني أواجه شخصية جديدة » .

العودة إلى مصر

رجع الدكتور زكي مبارك إلى مصر ، فعين أستاذاً في الجامعة المصرية ... ولكنه

اختلف مع المسؤولين وبعض الأساتذة ، بسبب آرائه الجريئة ... ففقد عمله بإيحاء من الدكتور طه حسين ، ويكتب زكي مبارك والألم يمزقه مقاله الشهير : « لو جاع أولادي لشويت طه حسين وأطعمتهم لحمه .. ولكنهم لن يجوعوا ما دامت أرزاقهم بيد الله » .

وتفرغ الدكتور مبارك للكتابة في الصحف والتأليف ... وفي عام « ١٩٣٧ » عين مفتشاً للغة العربية . وفي نفس العام نال زكي مبارك الدكتوراه الثالثة من الجامعة المصرية بكتابه (التصوف الإسلامي) . وفي هذا العام « ١٩٣٧ » طلبته العراق للتدريس في دار المعلمين فقبل العرض ... وعندما رجع إلى-مصر بعد تسعة أشهر ، كانت شهرته الأدبية قد بلغت الذروة .

نهاية محزنة

وفي السنوات الأخيرة من حياته ، تعرض للفصل من عمله في التفتيش ، نتيجة لمهاجمته المسؤولين في وزارة المعارف على صفحات الجرائد ، ثم عين في دار الكتب المصرية . وعندما جاء الدكتور طه حسين وزيراً للمعارف أعاده إلى عمله السابق في التفتيش المدرسي ، وكان يتقاضى مرتباً هزيلاً لا يكفيه هو وأسرته المؤلفة من زوجته السيدة ترك أحمد عثمان ، وأولاده سليمان ، وعبد المجيد ، وعبد السلام ، وزينب ، وكريمة .

وبقي في عمله يعاني الإهمال وإنتقام الخصوم إلى يوم وفاته ، ودفن في قريته المحببة إلى قلبه .

من مؤلفاته

- ألحان الخلود ، شعر .
- ليلى المريضة في العراق .
- الموازنة بين الشعراء ، أبحاث في أصول النقد واسرار البيان .
- التصوف الإسلامي .
- جناية أحمد أمين على الأدب العربي .

- زهر الآداب وثمرة الألباب ، للقيرواني ، تحقيق .
- مجنون سعاد ، وهي رسائل كتبها زكي مبارك تحت اسم الدكتور (بديع الزمان) ، ونشرها في جريدة « الصباح » ، وكانت هذه الرسائل ترسل بطريقة سرية إلى صاحب « الصباح » ، لأن كاتبها كان من أكابر المفتشين بوزارة المعارف ، ولا يجوز لرجل من أكابر المفتشين ـــ على حد تعبير مبارك ـــ أن يتحدث عن الحب والجمال . وقد قدمت صحيفة « الصباح » هذه الرسائل بالكلمة التالية :

رسائل مجنون سعاد بقلم الدكتور بديع الزمان

« يسر جريدة الصباح أن تقدم إلى قرائها الأعزاء هذه الرسائل بالتسلسل . وهي تصور أعنف مأساة غرامية عرفتها مصر في العصر الحديث . وصاحب هذه الرسائل طبيب شاب يكره النشر في الصحف والمجلات ... وقد رجانا أن ننشر بإسم مستعار ، فأقنعناه بأن من الخير أن ننشرها بإسمه الصريح ...

ونرجو ألا يمر زمن قليل حتى يتبين للقراء الأفاضل أن « بديع الزمان » في مواهبه الأدبية ليس أقل من المازني ، والعقاد ، وهيكل ، وزكي مبارك ، وطه حسين ... ولو وجد هذا الشاب من ينصفه لجعله أمام الكتّاب في هذا الجيل .

من هي سعاد ؟

تقول السيدة كريمة زكي مبارك :

« سعاد حبيبة والدي ليست من أسيوط ـــ كما ذكر والدي ـــ وإنما من المنصورة . وسعاد ليس اسمها الحقيقي وإنما جيمي . وجيمي هو اسم « الدلع » . وهي شاعرة جميلة فنانة وكاتبة أطال الله في عمرها ... لها أكثر من ديوان شعر ... ولها أكثر من قصة طبعتها ونشرتها ... ولها قصة خالدة هي قصتها مع زكي مبارك » .

تعقيب

نرجح أن تكون جيمي هي الأديبة جميلة العلايلي ، التي كان يحبها ايضاً الشاعر إبراهيم ناجي .. وفيما يلي « نماذج » من هذه الرسائل التي نشرت أول مرة ضمن سلسلة كتاب الهلال .

الرسالة الثالثة

« أما شبعت من الصمت ، يا ناكثة العهد ؟

هـل يكون حبك سـراباً في سـراب ؟ بئس ما صنعت لنفسـي حين رأيتك أهلاً لحبي » .

الرسالة الواحدة والعشرون

« سعاد

أنت ولدت مع الربيع ... ربما كان ذلك ، فقد ولد غرامي الجديد في الربيع ومع الربيع ولدت آلامي وأحزاني . ومع الربيع الجديد ودعت هواي القديم ... ويا ويح من يستشفي الغرام القديم بغرام جديد » .

الرسالة الثانية والأربعون

« سعاد

هل تفتحي صدرك لمن يستغفر ويتوب ؟ كانت رسالتي الماضية فناً من الحمق ، وهل رأى الناس قبلي عاشقاً يصارح معشوقته بأنه يشرك بهوى من يحب ؟ تلك دعابة يا سعاد فلا تغضبي ولا تعتبي ، فلن يقع هواي إلّا حيث تحبين » .

وبصورة عامة ... فإن الرسائل الـ « ٦٢ » مجتمعة تمثل قصة عاطفية خالدة ، ربما تكون من أعف وأنزه قصص الحبّ في الأدب العربي المعاصر ، وهي تفيد النقاد والقراء في فهـم نفسيـة أديبنـا الكبـير ، لاسيما وأنه عاش حيـاة عاصفـة وانفعـالات قدسيـة واختلاجات متباينة .

محجوب ثابت ـ الرجل الضاحك

ثمن الشهرة



كانت شخصية المرحوم الدكتور محجوب ثابت من أوائل الشخصيات الفذة التي تسابق أقطاب الرسم الكاريكاتيري في مصر في إبراز جوانبها الكثيرة المختلفة، إذ وجدوا فيها مجالاً خصباً لفنهم الساخر، وللتعبير عن مختلف الاتجاهات السياسية والبرلمانية والأدبية والفنية التي كان الفقيد الكبير يشارك في كل منها بنصيب موفور ملحوظ. ولقد حفلت الصحف والمجلات على اختلاف نزعاتها خلال السنين العشرين الأخيرة من حياته بعدد لا يحصى من الرسوم الكاريكاتيرية التي تكشف عن جوانب شخصيته في حياته العامة والخاصة.



اشتهر جواده « ماكسويني » فجعلوا منه فارساً مثل دون كيشوت .



كان طبيب الجامعة ويعد نفســه أباً لكــل الطلبة . وهذا هو يستقبله أولاده .



عـرف الدكتـور محجـوب بتشجيـع الطـلبـة على الرياضــة وهذا تسجيـل لذلك التشجيع .



اقترن السودان باسمه طول حياته . وهذا هو يصحبه في زيارة لبيت الأمة .



حتى عند سفره إلى الخارج لم يكـن ينســى الســودان فيحمله مع أمتعته .



البرد شديد ، وهو في حاجة إلى الدفء ولذلك يقــرأ خطبة له عن السودان .

من الشخصيات التي كانت مثار قفشات وضحكات صحفية كثيرة الدكتور محجوب ثابت (١٨٨٤ ــ ١٩٤٥) فقد كان فضلاً عن علمه الوافر يمتاز بروح ودعابة طريفة .

وكان للدكتور محجوب ثابت حصان يرتاد به ما شاء من أحياء القاهرة في أيام الثورة ، وكان أصدقاؤه يسمون حصانه « مكسويني » وهو اسم جواد أرلندي مشهور انتحر جوعاً ، يكنون بذلك عن هزال الحصان وجوعه وعدم العناية به .

وقد استبدل به الدكتور محجوب سيارة ، فنظم أمير الشعراء أحمد شوقي هذه القصيدة يداعب الدكتور محجوب ويعزي حصانه . وقد نشرت هذه القصيدة سنة « ١٩٢٤ » ومنها نختار هذه الأبيات :

لكم في الخطِّ سيَّارهْ ... حديثُ الجارِ والجارَه
(أوفر لاندُ) يُنَبِّيك ... بها القُنْصُلُ (طمَّارَه)[1]
كسيَّارة (شارلوت)[2] ... على السّواق جباره
إذا حَرَّكتها مالتْ ... على الجنْبَيْن منهاره
وقد تحْرُنُ أحياناً ... وتمشي وحدها تارَه
أُدُنيا الخيل (يا مكسي) ... كدنيا الناس غدّاره

وهذه مداعبة أخرى قيلت في « مكسويني » حصان الدكتور ، حين كان الدكتور يرتاد « بار » اللواء وجريدة الأهرام :

تفديك ــ يا مكسُ ــ الجيادُ الصّلادم
وتفدي الأساةُ النُّطس من أنت خادم

---

(١) الشيخ طمارة : كان إماماً بالمفوضية المصرية في واشنطن .

(٢) يعني شارلي شابلن الممثل الهزلي المشهور .

كأنك — إن حاربتَ — فوقك عنترٌ
وتحتَ ابن سينـا أنت حين تسالِمُ
فـــإنك شمسٌ والجيـــادُ كواكبٌ
وإنك دينـــارٌ ، وهُنَّ الدراهـــم

وكان أحمد شوقي يقضي بعض لياليه في عيادة محجوب ثابت بالسيدة زينب إلى ساعة متأخرة من الليل ، وكان يتخلل السهرة الجميلة بعض ترانيم الأستاذ الفنان محمد عبد الوهاب .

وحدث أن انقطع شوقي ، على غير انذار سابق من حضور هذه الندوة ، فاتصل به الدكتور محجوب ثابت تليفونياً مستفسراً عن سبب تخلفه ؟ فأخبره شوقي بأنه لا يرغب الرجعة إلى العيادة بعد الذي قاساه من البراغيث التي انتشرت في شتى أرجاء العيادة .

وزعم محجوب ثابت أن البراغيث استحضرها شوقي معه في سيارته وأنها ليست من نتاج العيادة . واشتد النقاش بين الطرفين واستمر الجدل طويلاً . وأخيراً اتفق الطرفان على الاحتكام إلى داود بركات رئيس تحرير الأهرام فاجتمعا به في بار اللواء .

ودارت مساجلة طريفة بين شوقي ومحجوب ثابت ، وطلع شوقي على الناس في اليوم التالي بالقصيدة التي نقتطف منها الأبيات التالية :

بَـراغيثُ محجـوب لم أُنسَـهـا	ولم أُنسِ مـا طَعِـمَتْ من دمي
تشـقُّ خـراطيـمُـهـا جوربي	وتنـفُـذُ في اللحـم والأعظـم
قـد انتشـرت جـوقـةً جوقـةً	كما رُشَّت الأرض بـالسِّمسِم
تـرحب بـالضـيف فوق الطـ	ريق ، فباب العيادةِ ، فالسُّلَّم

ولم يكن شوقي وحده هو الذي داعب محجوب ثابت بهذه الأبيات إنما داعبه كذلك كثير من الشعراء نذكر منهم خليل مطران . وكان « مكسويني » هذا حديث الصحف مدة طويلة من الزمن ، ولوناً من المداعبة البريئة . وكان محجوب ثابت يلتحي بلحية طويلة مما أثار الصحف وجعل له شخصية مميزة في رسومها . وكانت لحيته تسبب

له مواقف في غاية الطرافة والعجب . حدث أن كان عائداً من المؤتمر الطبي في فلسطين ، وكان عمال إدارة الجوازات يشتغلون بعملهم فاشتبه أحد العمال في أمر الدكتور محجوب وظن أنه هارب وأنه متنكر وأن لحيته اصطناعية . ولذلك عمد أحدهم إلى جذبها بشدة آملاً أن ينتزعها من مكانها ولكنها كانت ثابتة ، فلم تطاوعه . فكان موقفاً مثيراً للضحك حقاً .

وكان محجوب ثابت برغم روحه المرحة إنساناً كريماً بأدق معاني الكلمة وكانت له مواقف بطولية رائعة حول السودان والعروبة .

وعندما زار سورية عام « ١٩٢٤ » نشر في مجلة « سورية الشمالية » مقالاً وضح فيه أن البلاد العربية من أقصى نيلها إلى أقصى فراتها ودجلتها ذات وحدة طبيعية في جميع مظاهرها . واصبحت خطبه وأحاديثه لا تخلو من توكيد الروابط الوثيقة بين جميع أقطار العرب .

وقد وصفه الأديب الراحل عبد العزيز البشري فأبدع وصفه حين قال : والدكتور محجوب ثابت ، عريض الألواح ، بعيد مدى العظام ، لولا أن في جسمه رهولة أميل إلى الطول فإذا مشى خلته أحدب وما به حدب ، ولكنه انحناء الظهر من ثقل التبعات ، لا من ثقل السنين ، عريض الجبهة إلّا أن أسفل وجهه أعرض من أعلاه يرسل لحيته وشعر عارضيه في هيئة لطيفة مقبولة ، وله عينان دقيقتان ترتسم في بياض كل منهما دائرة تحيط بدائرة ، حتى تنتهي إلى انسانها ، وهما دائمتا الحركة والاختلاج .

وهو بعد طيب القلب ، مكفوف الأذى ، عذب الروح ، حلو الحديث ، ضحوك السن يتحرى في قوله غريب اللغة ، ويلتمس الشاهد من مأثور شعر العرب .

وقد يجيء به أحياناً مكسوراً غير متزن ، أما قافاته فحدث عنها ولا حرج : جزت مرة بداره فرأيت بنتين صغيرتين تتلاعبان فقالت إحداهما للأخرى : هذا بيت الدكتور فسألتها ومن الدكتور ؟ فقالت لها : ألا تعرفين الدكتور الذي يقول يا بنت هاتي القبرة (الإبرة) ...

ويضيف عبد العزيز البشري قائلاً :

وفيه ذكاء حاد ، يديم القراءة والنظر في الكتب ، وكأنه يحفظ كل ما يقرأ ، تعرف هذا من علمه الواسع الذي يكاد يستغرق كل ما في الدنيا وكل أسبابها ، إلّا أن علمه مع الأسف يختلط بعضه ببعض ، حتى ليخيل إليه أن رأسه (كتبخانة) مدشوتة ، ولو قد ملكت أمره ، وكانت لي بسطة في المال والسلطان لدعوت مستشرقاً ألمانياً فنياً لتنظيم هذه المكتبة العظيمة ، فيضم كل شكل إلى شكله ، ويجمع كل جنس إلى جنسه ، ويرد كل معنى إلى بابه ، ويصف كل فن في دولابه .

ونشر البشري هذه الصورة الضاحكة في مجلة الكشكول ، ولم يلبث أن قفى هذه الصورة بأخرى نشرها في السياسة اليومية في إحدى ليالي رمضان بمناسبة حملة الكشكول عليه .

بقي أن نذكر بأن محجوب ثابت دعا إلى تنظيم حركة العمال بمصر سنة « ١٩٢٠ » وأدخل التدريب العسكري في الجامعات والمدارس المصرية ، وكان من خطباء ثورة سنة « ١٩١٩ » ونفي . ثم كان من أعضاء مجلس النواب المصري . وعين أستاذاً للطب الشرعي في الجامعة ، فكبيراً لأطبائها وتوفي بالقاهرة .

فخري البارودي ـ أمير الظرفاء



كانت الحياة بنظر المجاهد الوطني والظريف الدمشقي فخري البارودي (١٨٨٦ — ١٩٦٦م) دق طاولة زهر والنضال الوطني واجباً يومياً كالطعام والشراب .

يؤمن بالنظام والانضباط ولا يستطيع تطبيقه ، يؤمن بالمواطن والوطن ويجهل أمراضه ... أنشأ عشرات المشاريع ، تبدأ بمشروع الفرنك ، ومكافحة التسول ، وتنتهي بإنشاء المعهد الموسيقي العربي ، وإحياء الرقص القديم المعروف بالسماح ... ولكن معظم مشاريعه تعثرت لأنه لم يكن يؤمن لها وسائل الحياة والمتابعة الجدية والاستمرار .

كانت شعبيته الكبيرة في الشارع الدمشقي ترجع أساساً إلى قدرته الخطابية إلى جانب حماسه البالغ . وكان يتقن أسلوب استخدام لغة التخاطب مع الجماهير ، وكان يحمل خطبه بالنوادر ويعرف كيف يضحك جماهيره .

وكان البعض في سورية يميل إلى اعتبار فخري البارودي نكتة وطنية ، ويقولون إنه سياسي غير جاد . ومع ذلك أثبت قدرته وشعبيته لدى الجماهير من على منصة الخطابة مما جعل حماس الناس له يفوق قدراته السياسية .

بين الجد والهزل

وكان المرحوم فخري البارودي ، يحرص على ألّا يغيب الحسن والوجه الجميل عن مجالسه ... وقد عرف خصومه عنه ضعفه أمام الجمال فراحوا ينفذون إلى الهجوم عليه من هذه الزاوية الواسعة ... كان في وسعه أن يعطي بلاده أكثر مما أعطى لو لم يمزج المرح بالسياسة ، والجد بالهزل . وكانت حجته في الدفاع عن نفسه أنها حياته وهو حر في حياته .. وكان يقول : « لم أفعل ما يستحق الذكر خلال حياتي ... وكل ما فعلته علاك بعلاك » .

وللحقيقة والتاريخ ... فإننا نذكر أن فخري البارودي شارك مع (لورانس العرب) في نسف القطارات التركية وتمتعا بلذة القتال والقتل ... كما عاون الثوار في دمشق بإمدادهم بالمؤن والسلاح من أجل مقاومة الاحتلال الفرنسي .

فخري البارودي وصباح فخري

ولعلّ من أبرز الفنانين الذين رعاهم البارودي ، وسهر على توجيه مواهبهم الفنان صباح فخري ، الذي تقول هويته أنه من مواليد عام « ١٩٣٣ » ، ويحمل اسم صباح الدين الشيخ محمد أبو قوس . لقد عرفه البارودي فتى صغيراً ، فتوسم فيه الخير ، وتنبأ له بمستقبل فني باهر ، فأطلق عليه اسمه ، وبذل في توجيهه وتعليمه وتدريبه كثيراً من ماله ووقته . ولمع اسم صباح فخري بعدئذ ، واحتل مكانة فنية يحسده عليها كثير من أهل الفن والطرب .

مجلس القاضي

يقول المرحوم فخري :

كنت يوماً في محكمة عمان فجاءني رجل أقامت عليه زوجته الدعوى بطلب النفقة ، يطلب مني مساعدته فقلت له : أجبني بالله هل أنت قائم بوظيفة الزواج حق القيام ؟ قال : دعني فإني مريض ليس لي قوة على ذلك . قلت له : ألديك من المال ما يكفي إعاشة الزوجة ؟ قال : والله أني لا أجد ثمن رغيف الخبز فصفعته على قفاه وقلت له : اذهب ما دمت لا تحط وتنط وقلت :

من شاء يحيا سعيداً دائماً أبداً	مع زوجه وهو عن أعمالها راضي
شيئان أيُّهما قد صحّ في يده	كافٍ لابعاده عن مجلس القاضي
خير و(شيء... وإن صحّا معا فله	سعد السعود وبالٌ ناعم (فاضي)

لرامي ورسوله

ويقول أيضاً البارودي : .

دعتني وزارة المعارف إلى بلودان — في دمشق — لحضور جلسة من جلسات مؤتمر الأدباء . فذهبت وذلك في سنة « ١٩٥٦ » ، وقضيت ليلة بين أدباء العرب وأكثرهم من أصدقائي وإخواني . وفي نهاية السهرة أجبروني على النوم في الفندق الكبير في بلودان . ولما لم يكن معي منامة (بيجامة) ذهب شاعر شباب النيل الصديق الحبيب أحمد رامي وأحضر لي (بيجامة) وسلمني إياها بيده وعرف رقم غرفتي وذهب . وما كدت أقلع ثيابي إلّا وباب الغرفة يقرع ودخل غلام جميل وضع على المنضدة كيساً صغيراً فيه شيء من الكمثرى ، وضع الكيس وقال : هذا من أحمد رامي وذهب بسرعة دون أن يقف لحظة فحضرتني البديهة فقلت :

يا رامي القلب كمثراكم وصلت	مع الرسول فأهلاً بالحبيبين
أهلاً بنجم سرى كالشهب مسرعة	أو قبلة تتهادى بين ثغرين
أو بسمة من شفاه الحب خاطفة	أو لمحة النور مرت عبر جفنين

وفي الصباح أرسلت له الأبيات ، فكانت حديث القوم ، وانتشرت بسرعة بين المؤتمرين . وبينما أنا واقف مع بعض الأدباء والشعراء وكل منهم يتقدم مني ويقدم لي قبلة ، وهي الضريبة التي وضعتها على الشبان . وإذْ بأحمد رامي يأتي من بعيد وأسرع نحوي يشكرني على الأبيات ... فقبلته قائلاً : هذه القبلة لله ورسوله .. ليس لي فيها أقل غرض فقال : لا . إن قبلتك ليست لله ورسوله .. إنما هي لرامي ورسوله — الغلام الجميل — فكانت نكتة الأسبوع .

ملحن جغرافيا

وعندما زار أمير الشعراء أحمد شوقي دمشق عام « ١٩٢٨ » ، كان البارودي على ما يبدو مفلساً فأسرع إلى قريته في بلدة دوما ، وباع أرضاً من الزيتون ، ودعا أمير الشعراء

وكان برفقته الموسيقار محمد عبد الوهاب ، ودعا كذلك نخبة من كبار الموسيقيين والعازفين إلى سهرة أنيقة في داره .

ويروي البارودي أنه في هذه السهرة كلف الموسيقار الكبير بتلحين نشيده الوطني المعروف :

بلاد العرب أوطاني

من الشام لبغدان

ومن نجد إلى يمن

إلى مصر فتطوان

فلا حدّ يباعدنا

ولا دين يفرقنا

لسان الضاد يجمعنا

بغسان وعدنان

فطلب منه عبد الوهاب أن يستبدل فخري بك كلمة (تطوان) بغيرها ، فاعتذر البارودي وقال له : إن (تطوان) هي بعض حدود بلادنا العربية ويستحيل تغييرها ...

فتبسم محمد عبد الوهاب وقال :

ــ طيب أنتَ فاكرني يا فخري بيه ملحن جغرافيا ؟

ورفض تلحين النشيد الذائع الصيت والمحبب إلى قلوب العرب .

إبراهيم ناجي رائد التجارب الوجدانية



إبراهيم ناجي (١٨٩٨ ـــ ١٩٥٣) هو بحق رائد التجارب الوجدانية الذاتية بين شعراء مدرسة أبولو فشعره كله ـــ إلّا بعض قصائد قليلة ـــ غناء عاطفي حزين له شجن وألم والتياع ، وناجي روح عاشق متعطش للحب دائماً ، ولعلّ ذلك راجع إلى فشله في حبه الأول ، أو إلى أن هذا الحب الأول جعله يرسم لحبه صورة مثالية خيالية ، لايمكن أن تتحقق في عالمنا المادي ، لذلك ظلّ الدكتور إبراهيم ناجي طوال حياته يبحث عن الحب كأنه الطائر المتوجس لا يستقر على غصن إلّا لينتقل إلى غصن آخر باحثاً عن زهرة الحب الأبدي التي لم يصادفها مطلقاً طوال طوافه بالحدائق والبساتين ـــ على حد تعبير الأستاذ أحمد المعتصم بالله ـــ

من هذا المنطلق أعجب الشاعر بالممثلة الكبيرة (أمينة رزق) وكتب عنها قصيدة (نفرتيتي الجديدة) :

لمن هاته الفتنةُ النادرهْ	وما هاته الأعينُ الساحرهْ ؟
وما ذلك المرَحُ القدسيُّ ؟	وما هاته الضحكةُ الطاهرهْ ؟
تطوف مطاف الحنان العميم	وتسقط كالنعمة الوافرهْ
وتمتدُّ مثل امتدادِ العباب	وترجع كالموجه الساخره
وتنقش أصداءها في القلوب	وتبقى مدى العمر في الذاكرة

....

فوالله ما فهمتك العقولُ	ولا قدرت قدرَك « القاهرهْ »
فللشعر عينٌ يراكِ بها	بغير عيونِ الورى الناظره
يرى لك حُسْنَ الشعاع الجميل	أغار على الظلمة الغامره

ومن بعدها أحب شاعرنا ممثلات عديدات من اللواتي تألقن في تلك الفترة .. فترة الثلاثينات والأربعينات ، وكان عمله الإضافي باعتباره طبيباً لنقابة الفنانين يتيح له أن

يلتقي بالكثيرات ، فضلاً عن سهراته الليلية وندواته المتواصلة .

أحب ناجي الممثلة زينب صدقي وكتب قصيدة عنها ، كما أغرم بالممثلة زوزو حمدي الحكيم ، وزوزو ماضي وتغنى بغرامياته في قصائده الشهيرة ، وقد تنافست زوزو الحكيم مع زوزو ماضي في الحديث عن قصيدة الأطلال التي غنتها سيدة الغناء العربي الراحلة أم كلثوم عام «١٩٦٦» ، ورأت كل منهما أنها ملهمة هذه القصيدة الرائعة ، حيث احتفظتا بقصصات كتب عليها الشاعر بخط يده مقطوعات من الأطلال :

يا فؤادي رحم الله الهوى	كان صرحاً من خيال فهوى
اسقني واشرب على أطلاله	وارو عني طالما الدمع روى
كيف ذاك الحب أمسى خبراً	وحديثاً من أحاديث الجوى
لست أنساكِ وقد أغريتني	بفمٍ عذب المناداة رقيق
ويد تمتد نحوي كيدٍ	من خلال الموج مُدّت لغريقْ

....

أين من عيني حبيبٌ ساحرٌ	فيه نبلٌ وجلالٌ وحياء
واثقُ الخطوة يمشي ملكا	ظالمُ الحسن شهيٌّ الكبرياء
عبقُ السحر كأنفاس الربى	ساهمُ الطرفِ كأحلام المساء

....

يا حبيبي كل شيء بقضاء	ما بأيدينا خُلِقْنا تعساء
ربما تجمعُنا أقدارُنا	ذات يوم بعدما عزّ اللقاء
فإذا أنكر خلٌّ خلَّه	وتلاقينا لقاء الغرباء
ومضى كلٌّ إلى غايتِهِ	لا تقلْ شيئاً وقل لي الحظ شاء

وافتتن الشاعر ــ أيضاً ــ في تلك الفترة بالفنانة القديرة (أمينة نور الدين) التي كانت ممثلة صاعدة وقتها حيث بدأت تمارس فنها في (الفرقة الملكية للتمثيل) عام « ١٩٣٨ » ، وكانت تسمى (ممثلة القصر الملكي) ، كما كانت تمارس الكتابة النقدية

ونظـم الشـعـر في بعض المجلات الفنيـة مثـل « الصبـاح » و« دنيـا الفن » و« روز اليوسف » ، كان يربطها بناجي الالمام الشامل بالشعر الفرنسي بوجه عام والحديث منه بوجـه خـاص ، وكما سـهـرا الـليـالي في مقهى « إيزافيتش » يتحـدثان عن « بودلير » و« فرلين » و« رامبو » ، وكان شـاعرنا مهتماً بصفة خاصـة بالشـاعر الرمزي والحسي « بودلير » الذي ترجـم له ديوان « أزهـار الشـر » إلى العربيـة ، ومن قصـائد ناجي التي عبر فيهـا عن افتتـانه بالفنـانة أمينة نور الدين قصيدة لم تنشر في المجلات أو في دووابنه ، يطلب فيها ناجي أن يرتوي من النبع الذي طال حرمانه منه ويبين لأمينة نور الدين أنه قد نسي ماضيه فما عليها إلّا أن تسقيه :

يـا حبيبي وحيـاتي   هـات لي ثغرك هات
ذهب الماضي بعيدا   وانقضى في الـترهات
فاعطني حبا كبيرا   واسـقـني مـلء لهـاتي

وفضلاً عن أمينة نور الدين ومن سبقتها إلى عالم ناجي ، تعلق الشاعر بأخريات منهن المطربة الفنانة الكبيرة شهرذاد ، كما تعلق بشاعرات وكاتبات من تلك الفترة هنّ جميلة العلايلي ، وزينب حسين ، وأماني فريد ، وإنعام العازفة والرسامة الهاوية . وفي أخريات أيامه تعرف إلى (زازا) التي كانت شابة في مقتبل العمر وقتها وقد تعلقت هي الأخرى بالشاعر وبادلته حباً بحب إلى حد أنه انتشرت إشاعة في ذلك الوقت أنهما قد تزوجا زواجاً عرفياً ، وإن كانت هذه الإشاعة لم تجد ما يثبتها ويؤيدها ، وقد رفضت (زازا) أن ترتدي السواد على الشاعر عندما رحل عن دنيانا على أساس أنه لم يمت ، وإنما رحل إلى مكان بعيد دون أن يترك لها عنوانه كما قالت في إحدى رسائلها إلى الشاعر أحمد رامي .

وفيما يلي هذه القطعة الشعرية التي كانت ملهمتها الفنانة سامية جمال :

يـا من تمنيت شـعـرا   يكـون كفء جمـالك
وليس في الكون شعر   أراه كفـئـــا لـذلك

عفـوا القـوافي وعذرا ان قصرت في سؤالك
إن لم تجد لك عـدلا ولا نظـــــير دلالك
حـاولت وصـفك لمـا رأيت نـــور هـــلاك
فحرت ما قلت شيئا يـليـق بـاستقبـالك
يـا فتـنـــة فوق ظني بـالله مـالي ومـالك

من هنا يتبين لنا أن كل غراميات ناجي كانت محصورة في نطاق الوسط الفني ، باستثناء علاقته بحبه الأول « ع.م » وبالسيدة الفاضلة زوجته ، وأنه لم يحقق الارتواء الذي كان يطلبه لروحه المتعطشة إلى الحب ، حيث ظل يعاني من الموت حباً .

وجاءت نهاية الشاعر في ٢٤ آذار (مارس) سنة « ١٩٥٣ » ، حين كان يعالج أحد مرضـاه في عيادته ، وبينما يتسمع دقات قلب مريضـه مات هو مات الطبيب والشاعر والإنسان ، الذي كان يعالج مرضاه الفقراء ويقدم إليهم الدواء بالمجّان ، مات جسداً ، ولكن أشعاره الخالدة ستبقى ترددها الشفاه أبداً ... والجدير بالذكر أن وسامة الوجه كانت معدومة عند إبراهيم ناجي . وكان ضعيف البنيان كثير العلل . وكان فوق ذلك قليل الاهتمام بمظهره ، ومثل هذه الصورة لا تستهوي ممثلات جميلات شهيرات ، بل أنها لا تستهوي النساء عامة ... فكن ينصرفن عنه سراعاً ويتركن في قلبه جروحاً لن تندمل .

ملهمات الشاعر إبراهيم ناجي



زينب صدقي أماني فريد زوزو ماضي



زوزو حمدي الحكيم سامية جمال أمينة رزق

أم كلثوم في أوراق
أحمد رامي



يقول الشاعر أحمد رامي (١٨٨٢ ـــ ١٩٨١) :

منذ عرفتها أحببتها الحب كله . وكنت أنا الذي أطلق عليها الاسم الذي أحبته وأحب الناس أن ينادوها به : اسم الدلع « ثومة » . كانت أم كلثوم تحب أن تُنادى بهذا الاسم من قبل القريبين جداً منها . كما كانت تحب أن تلقب وتنادى باسم « الست » من الآخرين .

وقد أحبت اسم « ثومة » هذا عندما شرحت لها أسطورة هندية عن آلهة بهذا الاسم محبوبة ومقدسة ، هي شهدٌ مصفّى ، وخير دائم ، ونعيم عظيم . وقلت إن هذه الإلهة الهندية « ثومة » تظهر في السماء بدراً وشمساً ، وتظهر في الأرض ظلالاً وخصباً ، وتحقق لكل من حولها وكل من يقترب منها الأمن والأمان والهناء .

ومع ذلك ، فإن أيامي مع أم كلثوم لم تمض هناء دائماً ، ولا نعيماً مقيماً ، فقد كان ـــ وتلك مسألة طبيعية ـــ يقع أحياناً ما يكدر الصفو ويحزن القلب كثيراً . ومن ذلك ما حدث بيني وبينها بسبب القصيدة التي أهداها إليها أمير الشعراء أحمد شوقي .

ويضيف أحمد رامي :

ـــ كان ذلك في العام « ١٩٣١ » ، عندما قابلت أم كلثوم أحمد شوقي ورأته لأول مرة ـــ وهو في أواخر حياته ـــ في أحد محلات شارع فؤاد القديم جوار شيكوريل . كان معه يومها محمود فهمي النقراشي باشا والدكتور محجوب ثابت . وفي ذلك اليوم دعا شوقي أم كلثوم لزيارته في « كرمته » كرمة ابن هانئ ، لكي تغني .

وذهبت أم كلثوم إلى هناك بالفعل ، وغنت وتألقت في مجلس كان يضم إلى جانب شوقي ، عدداً كبيراً من جلسائه من الباشوات والأدباء والشعراء و« الكبراء » ...

وفي صباح اليوم التالي ذهب أحمد شوقي بنفسه إلى بيت أم كلثوم . وفوجئت به يقدم إليها مغلفاً ويطلب إليها أن تقبله . وحسبته أم كلثوم في البداية نقوداً ، أي أجراً في

مقابل غنائها الليلة السابقة .... وترددت في أن تمد يدها إليه . لكنه قال لها « إنها هدية ... من وحي أم كلثوم » وفتحت أم كلثوم الرسالة لتجد قصيدة شعر كتبها أمير الشعراء لحظة كانت تغني ، واستكملها في الليل وبعض النهار . كانت قصيدة :

سلوا كؤوس الطلا هل لامست فاها واستخبروا الراح هل مست ثناياها

وفي هذه القصيدة الأصل التي احتفظت بها أم كلثوم بخط شوقي ، ورد فيها اسم أم كلثوم صراحة مرتين . المرة لأولى في البيت الذي يقول :

« سل أم كلثوم من بالشوق طارحها » .

وهو الذي تبدل بعد ذلك وأصبح :

« حمامة الشوق من بالشوق طارحها » .

المرة الثانية ورد الاسم في البيت الذي يقول :

« يا أم كلثوم أيام الهوى ذهبت » .

وهو الذي تغير بعد ذلك فأصبح :

«يا جارة الأيك أيام الهوى ذهبت كالحلم آها لأيام الهوى أها

الجفوة الأولى

ويتابع أحمد رامي في حديث الذكريات :

ولا أدري لماذا ضقت ذرعاً يومها عندما لاحظت اهتماماً غير عادي من جانبها بهذه القصيدة ، فكان نقاش .. فخلاف .. فقطيعة .. فجفوة .. لكن بعد ذلك عادت المياه إلى مجاريها .

بعد ذلك وقعت « الجفوة » الأطول ، والأكثر مرارة . ويشهد الله أنه لم يكن لي ذنب فيما جرى ، ولا جريرة فيما حدث . بل كانت مجلة « روز اليوسف » بما نشرته ، هي التي أحدثت الوقيعة بيننا . ففي ذلك الوقت من العام « ١٩٣٢ » أقام معهد الموسيقى حفلاً لتكريم أم كلثوم ، وتسابق الخطباء والشعراء لإحياء هذا الحفل بالكلمات والقصائد .

وكنتُ أنا بالطبع من بين الذين حضروا الحفل . ولما طلب إليّ أن أقول كلمة ، اخترت إحدى قصـائدي القديمة التي يمكن أن تلقى في مثل هذه المناسبات ، وهي قصيدة تقول :

طـرب النـفس في سمـاع الأغـاني وقعـتهـا مثـالث ومثـان
ونجى الأرواح صـوت شجـي يتـغـنى بـأعـذب الألحـان
وجمال الروض في طيرها الشادي عـلى نـاضر من الأفنـان

وفجأة نشرت مجلة « روز اليوسف » أنني ألقيت هذه القصيدة من قبل في حفل أقيم لتكريم عبد الوهاب ، ومن ثم فهي قصيدة عبد الوهاب أصـلاً ، وليست قصيدة أم كلثوم ، وتمادت المجلة في إشعال الموقف أكثر من ذلك ، عندما رسمت مع هذه الكلمات رسـوماً كاريكاتورية تتندر عليَّ وعلى أم كلثوم . والمعروف في ذلك الوقت أن « روز اليوسف » كانت تقف إلى جانب منيرة المهدية وتؤازرها ضد أم كلثوم التي كانت صوتاً جميلاً هدد عرش منيرة وأسقطه .

وفوجئت ــ والكلام ما يزال لأحمد رامي ــ بعد نشر هذا التعليق بأم كلثوم تقابلني وهي في حالة من الغضب عظيمة ، لم أرها غاضبة قبل ذلك ، ولا بعد ذلك مثلما كانت غاضبة في ذلك اليوم قالت لي :

ــ ألا أستحق منك قصيدة يا رامي ؟ أتريدهم يسخرون مني ويشمتون في أكثر من ذلك ؟ لقد فعلت بي ما لم يستطع كل أعدائي أن يفعلوا .. روح .. أنا متأسفة اللي عرفتك

كان يوماً لا يمكنني أن أصفـه ، ولا أريد أن أتذكره ، ولكنني أيضـاً لا أنسـاه . أحسست يومهـا أن الدنيا لا طعم لها ولا أمل فيها ولا قيمة ... أحسست أنها مثل الجلباب الواسع جداً وأنا تائه فيها . كانت الإهانة جارحة ، والظلم كبير ... والفراق مراً ، والكبرياء والكرامة من الأمراض المزمنة .

كنت ضعيفاً

ويومها عدت إلى منزلي ، واتخذت قراراً بألّا أقابلها مرة أخرى ، ولا أسأل عنها وأن أنساها تماماً ... حتى صوتها لا أريد أن أسمعه . وقررت لذلك ألا افتح المذياع على الاطلاق . وفي الليلة نفسها ، فجرت شحنة الألم و« الإهانة » في قصيدة كتبتها موجهها إليها بالطبع :

من أنت حتى تستبيحي عزتي ... فأهين فيك كرامتي ودموعي
وأبيت حران الجوانح صاديا ... أصلى بنار الوجد بين ضلوعي
أعمى عن الحسن الذي هامت به ... نفسي وطال إلى سناه نزوعي
واصم عن نغم عشقت سماعه ... أيام كان القلب غير سميع

ولعلّ من يتأمل هذه القصيدة ــ كما تأملتها أنا طويلاً بعد ذلك ــ يلمس فيها ضعفي الشديد أيضاً . فعلى الرغم من أني بدأتها بكبرياء متسائلاً : من أنت ؟ إلّا أنني لم أستطع إلّا أن أعترف بأن حسنها هامت به نفسي ، وأنني ما زلت عاشقاً لهذا الحسن متيماً ، وما زلت لصوتها عاشقاً مولهاً . وأقول في هذه القصيدة بعد ذلك :

إني كسوتك من خيالي حلة ... وشيّت صفحتها بزهر ربيعي
يا زهرة أنضرتها ورعيتها ... وسقيت تربتها زكي نجيعي

وأمضيت على هذا الحال قرابة عام ، حاول في خلالها الأصدقاء والأوفياء أن يصلحوا ما بيننا ... لكن محاولاتهم ضاعت عبثاً ... وسافرت هي إلى العراق ، وعادت ، ويوم عودتها حاول البعض اقناعي بأن أكون في انتظارها ، لكني رفضت فعادوا يقولون لي أنها كانت تبحث عني بين الذين ذهبوا لاستقبالها ... وطالت الجفوة .

صحيح هل تزوجت يا رامي

إلى أن جاء اليوم الذي لزمت فيه الفراش وتقرر أن تجري لها عملية سريعة لاستئصال الزائدة . وجاءني بعض الأصدقاء في اليوم السابق على العملية يخبرونني بأن حالتها

خطـرة ، وأنه لابد من ذهابي لزيارتها ، كان ذلك يوم ٢٠ آذار (مارس) من العـام « ١٩٣٣ » . وعلى الرغم من أنني زرتها ، إلّا أنني كنت ما زلت مجروحاً ، ما زال جرحي يدمي .

وبعد ذلك سافرت أم كلثوم إلى أوروبا وقررت أن أتزوج . لا أدري لماذا ؟ واندهش من كان يعرفني وكانوا جميعاً يهمسون : هل حقاً ستتزوج قريبتك يا رامي ولماذا ؟

وكنت أردد قائلاً : لأني أريد أن أجد من يحبني لذاتي ... يحبني بلا غاية إلا حبي . وأريد أن أكون أباً .

وخطبت واحدة من قريباتي ، وتزوجتها ... كان ذلك في العام « ١٩٣٤ » ، وكان عمري وقتها حوالي « ٤٢ » عاماً ، وكانت تصغرني بأكثر من عشرين عاماً .

وعادت أم كلثوم من رحلتها الأوروبية ، وفوجئت بالخبر ، ولكنها على الرغم من ذلك ، بدت وكأن الأمر لا يعنيها في شيء ... حتى التقينا فكان أول ما نطقت به هو : صحيح يا رامي ... صحيح خطبت ... وهاتتجوز ؟

ورددت عليها في حزن شديد : أصلها بنت زي حلاتي ... يتيمة ومسكينة ومتواضعة .. حاجة كدة على قدنا ... ودي اللي ممكن تعيش معي ... وتحبني .

ظلت هي الحب

لكن أم كلثوم ظلت هي الحب كل الحب . ظلت هي عروس الحلم وعروس القصائد . هي الأمل والألم والعذاب . وهي الهجر والوصل والضنى والمنى ... هي كل ما أكتب وكل من أكتب له . وظلت هي تغني لي ... وتغني لي وحدي .

وكنت أزداد نحيباً مع كل أغنية أسمعها تشدو بها . وتبقى الحقيقة الخالدة : كل شيء نصيب .

ليس معنى هذا أبداً أن أم كلثوم كانت إنسانة بلا قلب . بل كانت قلباً كبيراً عطوفاً

إلى أبعد حد . ومن يرى دموع أم كلثوم يدرك إلى أي حد كانت هذه الإنسانة العنيدة القوية ، فيضاً من الحنان والإنسانية والنبل .

رأي أم كلثوم في الشاعر أحمد رامي

تقول السيدة أم كلثوم :

« مع أحمد رامي قرأت الشعر العربي في كل عصوره . لقد ساعدني رامي بذوقه واحساسه الفني الخصب في قراءة الشعر العربي . كما أن أحمد رامي كان يعمل لفترة طويلة في دار الكتب . فكان يمدني بكل دواوين الشعراء العرب ، مما أعطاني فرصة رائعة لقراءة هؤلاء الشعراء . لم أترك ديواناً معروفاً لشاعر قديم أو حديث إلّا وقرأته . كانت دواوين هؤلاء الشعراء تحيا معي في حجرة نومي ، إلى جانب سريري ، في كل وقت ، كنت أقرأ الشعر . إنه الفن المفضل عندي منذ البداية . ولكن رامي ساعدني إلى أقصى حد على تنمية هذه الهواية .. هواية قراءة الشعر .

وأثناء قراءتي كنت أختار بعض القصائد لأغنيها . وكنت أنتقي مختارات أخرى لنفسي أسجلها لأقرأها بين الحين والحين . وقد بلغت هذه المختارات حوالي ألف بيت » .





• فى ٢ / ٧ / ١٩٤٨

قصتى الحقيقية بقلم أم كلثوم

● بدأت اغنى وعمرى ثمانى سنوات وكان ذلك عند مأذون القرية « طماى » وغنيت يومها : اقول لذات حسن ودعتنى - بنار الوجد طول الدهر اه ! . . ولم اتقاض مليما فقد كان شرفا لنا ان نغنى عند المأذون !

وسمعنى اهل القرية المدعوون عند المأذون وقالوا ان صوتى جميل . .

وفى اليوم التالى دعيت إلى فرح خفير نظامى فى عزبة « الحوال » وقد غنيت هناك إلى الصباح . . وفى هذه الليلة تقاضيت اول اجر فى حياتى وكان عشرة قروش صاغ ولم يكن هذا نصيبى وحدى وانما كان اجرة الفرقة المكونة من والدى واخى وانا . . وبعد ذلك فكر حسن افندى التاجر بمحطة ابو الشقوق فى اقامة ليلة يكون الدخول فيها باجر . .

وكان اجر الدخول خمسة قروش فى الدرجة الأولى وثلاثة فى الثانية وبلاش فى الثالثة اى يقف المتفرج من وراء الخيمة . .

ونجحت الليلة نجاحا لم يخطر لنا على بال . . ولم اعرف انى نجحت الا عندما اعطانا صاحب الليلة جنيها ونصف جنيه . .

ونظرت إلى الجنيه فى دهشة فقد كان اول جنيه اراه فى حياتى . .

وبدأت اشعر انى انتقلت من مطربة « محلية » إلى مطربة عالمية ذلك انى دعيت بعد ذلك للغناء فى مركز اجا ثم فى كفر صقر . .

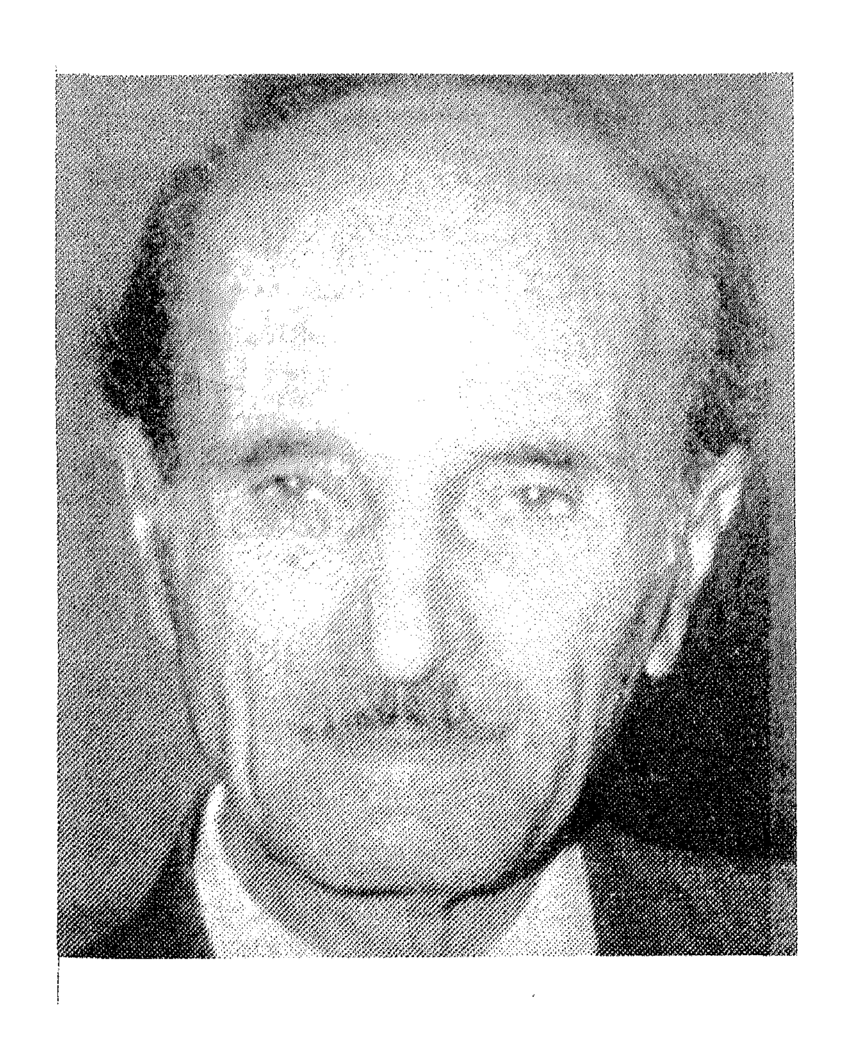
وفى سنة ١٩١٦ زاد ايرادنا فكنا نركب نحن الثلاثة حميرا ومن الطريف ان اهل الفرح كانوا يحضرون لنا الحمير لنذهب إلى الفرح وبعد انتهائه يتركوننا نعود إلى بيتنا مشيا على الاقدام وكنا نجلس فى الدرجة ونغنى للكمسارى وفى مقابل هذا يسمح بيقائنا فى الدرجة الثانية بتذاكر الثالثة . . لقد كنت اغنى لهذا الكمسارى طوال الطريق . . ولا اقف الا فى المحطات . .

واول بيت رجل كبير دخلته منزل « حمزة » بالمحلة الكبرى وكان الداعى نعمان الاعصر باشا عمدة المحلة . . وغنيت واعطانا ثلاثة جنيهات فقط ولم يكن هذا المبلغ قليلا ففى تلك الليلة رأنى الشيخ محمد ابو العلا لاول مرة ومنذ تلك الليلة اصبح استاذى . . ومنذ تلك الليلة ايضا تغير مجرى حياتى فقد سافرت مع الشيخ ابو العلا إلى مصر وتتلمذت عليه . .



الفنان الراحل عبد الحليم حافظ يبدي إعجابه بكوكب الشرق

ميخائيل نعيمة ـ يقرأ في صفحات ايامه



بين مولده في ١٧ تشرين الأول (أكتوبر) عام « ١٨٨٩ » ، ويوم رحيله المؤقت ـــ على حد تعبيره ـــ في « ٢٨ » شباط (فبراير) عام « ١٩٨٨ » ، حياة شامخة أسمها : ميخائيل نعيمة وعصره الذهبي .

كانت هذه الحياة المتميزة حافلة بالأمجاد الأدبية الزاهية ، والانتصارات الفكرية ، والسمو الروحي ، والاشراقات الوجدانية ، التي أوصلت بصاحبها من نطاق المحلية إلى العالمية الرحبة ، إذْ مارس ميخائيل نعيمة مختلف الفنون الأدبية ، من خلال مؤلفاته التي أغنت المكتبة العربية وتراث الإنسانية الخالد ... حيث قدّم في مؤلفاته الرصينة عصارة تفكيره ، وخلاصة تجربته الإنسانية العميقة ..

هذا العمر المديد الذي أمضاه بيننا « ٩٩ » سنة ، جعله يتقاعد وينتظر أيامه الأخيرة بسعادة وغبطة ، لاسيما ، أنه لم يبق عنده من جديد يضيفه إلى تراثه القديم ... لأنه نشر كل ما عنده وأنهى رسالته الثقافية ... وفي هذا الصدد يقول الأديب ميخائيل نعيمة :

الموت .. وموقفه منه

« الموت ليس نهاية الحياة ، بل مرحلة من مراحلها ، ومفصل مهم لا يجب أن يخيفنا ... أنا مستعد لاستقبال الموت كما لو أنني أذهب إلى سريري لأنام ... وعندما كنت في مقتبل العمر كان الموت فكرة مخيفة بالنسبة لي ... أما عندما تعرفت إلى قضية الإنسان الأزلي أصبحت أتقبل الموت بشكل عادي . وستبقى الحيوات اللاحقة تتوالى حتى نبلغ المعرفة الكاملة ، ونعود إلى المصدر الذي منه ابنثقنا ، والذي تتمحور حوله كل أشواقنا » .

لمحة عامة عن حياته

يقول ميخائيل نعيمة :

« ... ولدت في قرية بسكنتا في لبنان . أما دراستي فكانت في مدرسة تديرها الطائفة الأرثوذكسية في بسكنتا .. ثم تابعت دراستي الثانوية في دار المعلمين الروسية في الناصرة بفلسطين . وكنت يومها بين الثانية عشرة والثالثة عشرة ، ودرست هناك أربع سنوات . بعد ذلك رشحت من قبل دار المعلمين لأتابع دراستي في روسيا القيصرية ، وسافرت إلى « بولتافا » وهي مدينة في « أوكرانيا » ، والتحقت بمدرسة كهنوتية يطلقون عليها اسم « السمنار الروحي » . واختلطت بالشعب الروسي ، وبالنظر إلى ميلي الفكري إلى الأدب ، فقد تعمقت كثيراً في درس الآداب الروسية ، ودرس الآداب العالمية المترجمة إلى اللغة الروسية .

مأساة وحشية عام ١٩٠٩

يقول نعيمة : « تمثّلت اليوم في.صفنا مأساة وحشية إلّا أنها ــ ويا للأسف ــ لم تكن غريبة عن حياتنا ــ نحن طلاب السنة الثالثة ــ . لقد طرد الطلّاب من الصف أستاذ اللغة اللاتينية . وهو رجل طاعن في السنّ ، وقد مضى عليه أستاذاً في السمنار « ٢٩ » سنة

رفاقي يريدون من المعلم أن يعاملهم معاملة الندّ للندّ . فلا يؤنب أحداً ، ولا يعطي أياً منهم علامة رسوب ، ولا ينزل القصاص بأحد ، ويغض الطرف عن جميع شيطناتهم . وعندهم لكلّ معلم كنية خاصة تتناقلها أجيال الطلاب عاماً بعد عام . ومعلّم اللاتينية يكنّى « الدجاجة » . ففي مشيته ما يشبه مشية الدجاجة . أما تقاسيم وجهه فتدل على أنّه ، في شبابه ، كان رجلاً وسيماً .

لقد أصيب المسكين منذ عام بالفالج . فسرت الإشاعة في المدرسة أنه فقد عقله . لكنه برئ من الفالج وعاد إلى عمله . والمعروف عنه أنّه يحب القدح . دخل الصف اليوم

وبدلاً من أن يدعو تلميذاً بعينه سأل إذا كان هنالك من راغب في قراءة المثالة المفروضة فلم يلق جواباً من أحد .

وأعاد السؤال ثانية وثالثة . وإذا بالصف يهدر : « ليس بيننا من راغبين » . وعلا الهدير . فامتعض المسكين أشد الامتعاض وراح يصيح بأعلى صوته مهدداً بالخروج من الصف . فكان جواب التلاميذ : « تفضل وأخرج » وإذا لم يخرج من تلقائه أخرجوه بالقوة وهم يصرخون في أثره : « دجاجة دجاجة » عندها انفجر العجوز بالشتائم : « خنازير أوباش أنذال مجانين » وكان في انفجاره ما يثير الضحك والبكاء في آن ... إن ما يجرح في تصرف رفاقي اليوم هو استئسادهم مع الضعفاء من معلميهم ، وجبنهم تجاه الأقوياء ...» .

نعيمة يتنبأ بثورة ١٩١٧

ويضيف ميخائيل نعيمة : « ولما أتقنت اللغة الروسية ، إلى حد بات في إمكاني أن أنظم الشعر ، كان أن نظمت قصيدة دعوتها النهر المتجمد ، وقد ترجمت هذه القصيدة فيما بعد إلى العربية ، وأنا اقصد فيها نهراً كنت أعرفه في الصيف ، يجري وتمر عليه المراكب الصغيرة ، ثم رأيته في الشتاء يتجمد ، تجمد إلى حد أن العربات كانت تسير عليه دون أن يسمع له خرير على الإطلاق ، فنظمت هذه القصيدة أخاطب فيها النهر ، ولكني أنهي فيها بقولي :

إنك أيها النهر سيأتي الربيع ،

وستتخلص من عقالك ، من الجليد .

أما أمنا روسيا فمتى تتخلص من جليدها ؟

فكأنني تنبأت بالثورة الحمراء ... التي جاءت بعد ذلك بسبع سنوات .

العودة إلى لبنان ومنها إلى الولايات المتحدة

ويعود نعيمـة إلى لبنان عام « ١٩١٢ » ، بعد أن أنهى دراسته في روسيا ، ومنها يسافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، بعد أن أقنعه شقيقه بالسفر ، وهناك درس في جامعة ولاية واشنطن وتخرج منها بدرجتي « بكالوريوس » علوم ، و« بكالوريوس » في الحقوق ... وفي هذه المرحلة التقى بالأديب جبران خليل جبران لأول مرة في دار مجلة (الفنون) التي كان يصدرها نسيب عريضة في نيويورك ، ودامت هذه العلاقة حتى وفاة جبران في عام « ١٩٣١ » .

أنا وجبران

يقول ميخـائيـل نعيمـة : « أخذت العلاقة بيني وبين جبران تنمو وتتعمق لأنني وجدت قرابة بين نظراته الفكرية ونظراتي ، ووجدت في جبران عبقرياً يشق طريقه ، ووجدت نعومة في أسلوبه بالعربية ، لم أجد مثلها في أسلوب أي كاتب عربي في ذلك الزمان ، كما وجدت دماثة في أخلاقه ... وكان يروي في بعض الأحيان نكات تستدعي الضحك .

جبران كان شهوانياً إلى حد الاستهتار بصحته ... كان يشرب كثيراً دون أن يفقد توازنه . أكثر من مرة بحثت الأمر معه فكان يقول : إن المشروب يشحذ قريحته ويعطيه أفكـاراً جديدة .. وقد كنت الوحيد الذي وقف بجانب سريره في سـاعاته الأخيرة . وقفت بجانب سريره خمس ساعات ، وكنت أراقب صراعه مع الموت حتى لفظ أنفاسه الأخيرة .

العودة إلى بسكنتا

ويعود ميخائيل نعيمة إلى لبنان عام « ١٩٣٢ » ، بعد أن بقي في الولايات المتحدة أكثر من عشرين سنة ، ويستقر في قرية (بسكنتا) المطلة على جبال (صنين) . ومنذ ذلك الحين صـــار نعيمـة يحمـل لقب (ناسك الشخروب) التي تبعد عن قريتـه

(بسكنتا) نحو خمسة كيلومترات . وقد أطلق عليه هذا اللقب الكاتب توفيق يوسف عواد ، وذلك بعدما زار نعيمة اثر عودته من نيويورك .

نعيمة والمرأة

يذكر ميخائيل نعيمة في سيرته الذاتية التي تحمل اسم (سبعون) وتقع في ثلاثة مجلدات ، أنه أحب خلال حياته ثلاث نساء .. واحدة في روسيا... واثنتين في الولايات المتحدة ... وقد اتفق أن النســاء اللواتي أحبهن كن متزوجات من رجال هم دونهن بكثير ، وكان في حبه لهن شيء من الشفقة . إلّا أن فكرة الزواج غابت من حياته بعد أن عاد إلى وطنه .. وتفرغ للأدب .ولأعماله الإبداعية .

الإنسان الأزلي

يعتقد نعيمة أن الإنسان لا بد أن يعود ثانية للحياة ، لأن الإنسان يشبه قطرة الماء التي خرجت من البحر ، ثم اتصلت بنبع من الينابيع ، ثم جرت فاتصلت بساقية من السواقي ، ثم جرت فاتصلت في البحر ... ضاعت في البحر لتصبح هي البحر ... وهكذا نحن البشر نفنى ... ثم نعود مرة ثانية وثالثة ورابعة ، لنفنى بالذات ... كما يقول أهل التصوف . وهذا يعني أننا نعيش أكثر من مرة على سطح الكرة الأرضية ، نموت ... ثم نعـود إلى الأرض ... ونموت ... ثم نعود إلى الأرض ... وهذا يقودنا إلى مســألة الأزلي .

من مؤلفاته

- الغربال ، الذي يعتبر من الكتب الهامة في النقد الأدبي المعاصر .
- همس الجفون ، وهو يتضمن مجموعة قصائده المهجرية .
- سبعون ، ويتضمن سيرته الذاتية .
- الآباء والبنون ، مسرحية .

- جبران خليل جبران ، انطباعات وآراء نقدية .
- مذكرات الأرقش ، تأملات فلسفية .
- في الغربال الجديد ، مقالات وخواطر .

من أقواله

ــ كتاباتي الشعرية كثيرة . وعندي مجموعة ضخمة من القصائد .

كان هذا في البدايات .. أما بعدها فلقد آثرت التحول إلى النثر ، لأنني أميل إلى التحليل والتعليل والتأمل ، والنثر يتسع لهذه الأمور أكثر من الشعر .

ــ أمي كانت تعتز كثيراً بأن لها من بين أولادها الخمسة ولداً أخذ قسطاً كبيراً من الشهرة ، ولكنها أخذت تتبرم من كثرة الزائرين الذين كانوا يفدون علي في كل فجر .

ــ العزلة حاجة في نفسي ، مثلما الخبز والماء والهواء حاجة في جسدي . فلا بد لي من ساعات اعتزل فيها الناس ، لأهضم الساعات التي صرفتها في مخالطة الناس .

ــ الكثير من الأدباء ينحرف بالأدب عن غايته السامية ، فهو عندهم لتسلية القارئ ، أو للبهرجة اللغوية ، بدلاً من أن يكون ولادة وعبادة .

ــ أكره ثلاثة أشياء : الحرب والتجارة والمحاماة

ــ تأثرت بدستويفسكي وتولستوي ، لأن هذين العملاقين كانا يبحثان عن معنى الوجود ، معنى الإنسان وقيمته البشرية .

ــ أسمع صوت السيدة فيروز وأطرب لصوتها ، لأنه صوت رخيم ... وأحب الكمنجة في يد لاعب ماهر .

آخر ما كتبه ميخائيل نعيمة

ــ حاسب نفسك أولا ، ثم حاسبني .

ـــ ما قد يكون ترياقا لك .. قد يكون سما لغيرك .

ـــ اسقني جرعة من قلبك .. قبل أن تسقيني جرعة من جرتك .

ـــ نور الحقيقة للنفس .. كنور الشمس للعين .

كامل الشناوي ـ والحب الذي حطمه



عاش كامل الشناوي (١٩٠٨ــ ١٩٨٨) حياته فناً رائعاً وفريداً وفق أسلوبه ومزاجه الخاص ، دون أن يعنيه في قليل أو كثير أن يدع خلالها فنا يصلح للنشر والانتشار والخلود ــ على حد تعبير الأستاذ يوسف الشريف ــ .

أصر أن تكون حياته ذلك الكتاب العظيم ، الذي استنفد سنوات عمره ، وعصارة فكره ، وأشواق قلبه ، ورحيق صمته ، وكل ماله ومرحه وسخرياته ...

وعندما ألحّ عليه رفاقه أن يجمع أفكاره التي ينثرها في مجالسه كل ليلة ويقتات عليها غيره من جلسائه ... كان يبتسم ويقول :« أفضل أن أكون لحنا في الحياة ... ولا يشغلني بعد ذلك أن يسجل اللحن في نوته يعاد عزفها ... أم يتلاشى أدراج الرياح والنسيان » .

ويضيف الأستاذ يوسف الشريف :

ــ كان عصرا كاملا ذلك الزمان الذي عاشه كامل الشناوي ... رجالاته الذين شهدوا اندلاع ثورة « ١٩١٩ » ، وهتفوا بإسم سعد زغلول .واستقبلوا ثورة ٢٣ تموز (يوليو) « ١٩٥٢ » وأيدوها . عوالمه وأعلامه من فرسان الكلمة وأساطين الفن .

ولم يكن كامل الشناوي خلال العهدين مجرد صحفي لامع أو شاعر موهوب فحسب . كان الايقاع المسموع كعازف « السوليست » المميز للأنغام . كان « الدينامو » المولد لتيارات متدفقة في الفكر والأدب والصحافة والفن . وكان مكتشف المواهب الواعدة أينما كانت يزاحم بها القديم في كل ميدان ويرعى بداياتها الصعبة ...

لقد تولدت في أعماق كامل الشناوي عقدة البدانة وضخامة الجسم منذ طفولته . فكان لها أبعد الأثر بعد ذلك في ولادة مواهبه في الدعابة والسخرية وحبك المقالب كأسلحة ماضية للدفاع عن النفس . وكانت البدانة سببا في كراهيته لكل ضخم في

الحياة ... حتى محبوباته من الجنس اللطيف ... كنّ دوما من طراز « الترانزيستور » .. ومثالنا على ذلك نجاة محمد حسنين ، الشهيرة بنجاة الصغيرة .

من قتل كامل الشناوي ؟

يقول الكاتب الصحافي مصطفى أمين في مقال بعنوان « من قتل كامل الشناوي » نشره في جريدة (أخبار اليوم) الصادرة بتاريخ ٢١ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٦ ، ما لفظه :

وكان ذوقه في الحب غريبا ، كان دمياً ولا يختار إلاّ ملكات الجمال ، وكان ضخم الجثة ويصر أن تكون معبودته دقيقة صغيرة قصيرة تكوّن معه رقم « ٥٠ » فيكون هو الخمسة المستديرة وتكون هي الصفر الذي على اليمين ، وكان مخلصا أمينا في حبه ولا يقع إلاّ في هوى الغانيات المتقلبات الحائرات الغادرات الخائنات . وكانت الفتاة التي تقف وحدها لا تستهويه ولا تلفت نظره ، وإنما الذي يجذبه هو الزحام ، فهو يحب المرأة التي حولها زحام شديد ، فيحاول أن يشق طريقه إليها ، ويدفعه من أمامه ، ويوقفه من بجواره ، ويلطمه من خلفه ، إلى أن يصل إلى المرأة التي اختارها منهوك القوى

ويضيف الأستاذ مصطفى أمين :

وعشتُ معه حبه الكبير الأخير وهو الحب الذي أبكاه وأضناه وحطمه وقتله في آخر الأمر ، أعطى كامل لهذه المرأة كل شيء : المجد والشهرة ، والطبل والزمر والدعاية والشعر ، ولم تعطه شيئا أحبها فخدعته ، أخلص لها فخانته ، جعلها ملكة فجعلته أضحوكة ، وقد كتب قصيدة « لا تكذبي إني رأيتكما معا » في غرفة مكتبي بشقتي في الزمالك ، وهي قصيدة حقيقية ليس فيها مبالغة أو خيال حتى إن الموسيقار محمد عبد الوهاب سماها « إني ضبطكما معا »

وكان كامل الشناوي ينظمها وهو يبكي ، كانت دموعه تختلط بالكلمات فتطمسها ، وكان يتأوه كرجل ينزف منه الدم الغزير وهو ينظم ، وبعد أن انتهى من

نظمها قال إنه يريد أن يقرأ القصيدة على المطربة بالتليفون .

وكان تليفوني بسماعتين ، أمسك هو سماعة وأمسكت أنا وأحمد رجب سماعة في غرفة أخرى ، وتصورنا أن المطربة ما تكاد تسمع القصيدة حتى تشهق وتبكي وتنتحب ويغمى عليها وتستغفر وتعلن توبتها ... وكان في رأي أحمد رجب ورأيي أن أن هذا منظر تاريخي يجب أن نحضره .

وبدأ كامل يلقي القصيدة بصوت منتحب خافت ، تتخلله الزفرات والعبرات والتنهدات والآهات مما كان يقطع القلوب ، وكانت المطربة صامتة لا تقول شيئاً ولا تعلق ولا تقاطع ولا تعترض ، وبعد أن انتهى كامل من إلقاء القصيدة قالت المطربة :

ــ كويسة قوي ... تنفع أغنيها .. لازم أغنيها

وانتهت المحادثة التاريخية ورأينا كامل الشناوي أمامنا كأنه جثة بلا حراك

ومضت المطربة تشير كامل الشناوي بأنها تعشق فلانا الطبيب ، وتحب علانا المحامي ، وتخرج مع ترتان المهندس

وكتب كامل يقول لها :« ليتك تعلمين أنك لا تهزيني بتصرفاتك الحمقاء ، فلم يعد يربطني بك إلاّ ماض لا تستطيع قوة أن تعيده إلينا أو تعيدنا إليه ... كنت أتعذب في حبك بكبرياء ، وقد ذهب الحب ، وبقيت لي كبريائي ، كنت قاسية في فتنتك ، ونضارتك وجاذبيتك ، فأصبحت قاسية فقط » .

وكان كامل يحاول بأي طريقة أن يعود إليها ، يمدحها ويشتمها ، يركع أمامها ويدوسها بقدميه ، يعبدها ويلعنها ، وكانت تجد متعة أن تعبث به ، يوما تبتسم ويوما تعبس ، ساعة تقبل عليه وساعة تهرب منه ، تطلبه في التليفون في الصباح ثم تنكر نفسها منه في المساء ، وكان يقول إنه لا يفهمها ، وهي امرأة غامضة لا أعرف هل هي تحبني أم تكرهني ، هل تريد أن تحييني أم تقتلني ؟

واستمرت لعنة الحب الفاشل تطارده وتعذبه ، وكان يعتقد أن الهجر قتله وأنه لم يعق

إلاّ موعد تشييع الجنازة وكان يجلس يكتب كل يوم عذابه وكان يخيل اليّ أنه كان يكتب كل يوم نعيه .

وينهي الصحافي مصطفى أمين كلامه قائلاً :

ومات كامل الشناوي .. ومضت السنون وقابلت المطربة التي كان يعشقها وقلت لها : إنني كرهتها طول حياتي منذ قصيدة « لا تكذبي »

قالت إنني لم أحبه ، هو الذي كان يحبني .. إنني كنت أحبه كصديق فقط . وطلب مني أن يتزوجني فرفضت لأننا نختلف في كل شيء أنا رقيقة وهو ضخم ، أنا صغيرة وهو عجوز ، أنا أجد متعة في أن أجلس مع الناس ، ومتعته أن يجلس معي وحدي ، أنا لا أريد أن يعرف الناس من أُحب ، وهو يريد أن تعرف الدنيا كلها أنه يحبني

قلتُ لها : إن اصدقاءه يعتقدون أنك قتلتِهِ ؟

قالت : لا... إنه هو الذي انتحر

سألتها تقصدين أنه انتحر حباً ؟

قالت : بل انتحر غيرة

ولم أصدقها طبعاً ...

دعوى قضائية ضد كاتب المقال

اعتبرت نجاة أنها المقصودة بهذا الكلام ، فأخذ محاميها ، فتحي رجب ، هذا الجزء من مقال مصطفى أمين، وضمنه عريضة الدعوى القضائية التي عرفها ضد الكاتب المعروف ، وأضاف في هذه العريضة : « وقد جاء في المقال المذكور صورة بالغة الدمامة لكامل الشناوي ، استخدمت فيها عدسة محدبة ، ثم رسم لكامل الشناوي إلى جواره رسم لنجاة حجب عينيها بورقة ، ثم رسم الرسام عيناً واحدة لها تتساقط منها دمعة كبيرة

تفصل بين وجهيها ووجه كامل الشناوي ... وأول ما يطالع الناظر إلى هذه الصفحة هو استقراء معنى واضح هو أن كامل الشناوي مات قتيلاً ، وأنه كان دمياً ، وأما القاتلة فهي نجاة، حيث سقط منها دمع مركز في خلف الصورة ودماء على خلفيتها . ولعلّ الأستاذ مصطفى أمين قصد من استخدام الرسم بهذا الشكل أن يصل مقصد الطالع إلى أن نجاة هي القاتلة ، حتى ولو لم يقرأ المقال » .

بعد أن رفعت نجاة القضية أبدت استعدادها للتنازل عنها ، إذا ما كتب مصطفى أمين اعتذاراً ونشره في المكان نفسه من الصحيفة ، لكن مصطفى أمين رفض . وتدخل كل من الموسيقار محمد عبد الوهاب ، والشـاعر مأمون الشناوي ، والكاتب الساخر أحمد رجب ، لإقناع نجاة بالتنازل ، لكنها رفضت وقالت للمقربين إليها إنها مستعدة لاعتزال الغناء ، لكنها غير مستعدة للتنازل عن هذه القضية .

وهكذا أحيل مقال مصطفى أمين إلى محكمة جنح آداب قصر النيل بالقاهرة ، حيث طلب محامي نجاة بتطبيق خمس مواد من قانون العقوبات ، تصل مدة الحبس فيها إلى ثلاث سنوات ، فضلاً عن تعويض مادي يصل إلى نصف مليون جنيه

البداية في هذه الدعوى كانت الاستدلال على أن الرسم الذي نشر كان لنجاة ، حيث أن مصطفى أمين لم يذكر اسمها صراحة ، ويؤكد محاميه فريد الديب أن الرسم الذي نشر مع المقال ليس لنجاة ، ويصر محاميها (فتحي رجب) على أن الرسم لها . فكان أن طلب رئيس المحكمة (هاني مصطفى) أن تحضر نجاة إلى قاعة المحكمة بنفسها للتأكد من أن الرسم المنشور لها أم لغيرها . قد حدث ذلك يوم ٣ نيسان (أبريل) عام ١٩٨٦ .

وأمام المحكمة قال محامي نجاة : إن ما نسبه مصطفى أمين لها يعتبر قذفاً ، حيث أسند إليها وقائع لو صحت لأدت إلى احتقارها وخدش حيائها والإضرار بسمعتها

وردَّ محامي مصطفى أمين : إن نجاة تريد الحصول على شهرة ، ولهذا أقامت هذه الدعوى ضد مصطفى أمين .. وهو أشار في مقاله إلى امرأة « عاهرة » تحادث كامل

الشناوي في التليفون ، ولم يذكر اسمها ، فهل تستطيع نجاة أن تقول لنا أنها هي تلك المرأة التي قصـدها أمين ؟ وفي هذه الحالة سيختلف الوضع ، لأنها تكون هي التي ألصقت بنفسها هذه الصفات

وقد انتهى هذا الجدل الساخن بإعلان القاضي أن الحكم سيكون في الثامن من شهر أيار (مايو) ١٩٨٦ .

إن الحديث عن بطلة قصيدة « لاتكذبي » كثير ومتناقض ، فمن قائل انه ضبطها متلبسة بالحب وبالجرم المشهود مع الشاعر نزار قباني في شقته حيث ظنته نجاة أنه في الاسكندرية ، وحين تراجع عن السفر عاد إلى شقته ، وفتح باب غرفة نومه فراعه ما شاهد ، ويبدو أن نجاة كانت تحتفظ بمفتاح إضافي للشقة حصلت عليه من كامل الشناوي ... ومن قائل أنه المخرج عز الدين ذو الفقار ، وكثيرون يجزمون أنه الدكتور الأديب يوسف إدريس ...

ويقول الصحافي يوسف الشريف : « إن مناسبة قصيدة لا تكذبي ، ارتبطت بعيد ميلاد مطربة مشهورة صغيرة الحجم رقيقة الصوت ، وفي شقتها بالزمالك ، كان الحفل الذي دعت إليه عدداً محدوداً من الأصدقاء والفنانين ، وجاءت لحظة اطفاء الشموع ... وإذا بمحبوبة كامل الشناوي تختار كاتب القصة القصيرة يوسف إدريس وتمسك بيده ليساعدها في قطع (قالب الكاتو) ، وكأنها تقطع في أوصال قلب الشاعر ، علماً أن كامل الشناوي هو الذي اشترى (قالب الكاتو) وأهداها إليها في عيد ميلادها .

وصدر الحكم القضائي ببراءة مصطفى أمين ، وكانت نجاة هي الخاسر الوحيد فيها ، ولم تحصد سوى التشهير واللعنات من محبي الشاعر الكبير كامل الشناوي .

قصيدة لا تكـذبي

لاتكذبي ...

إني رأيتكما معاً

ودعي البكاء

فقد كرهت الأدمعا

ما أهون الدمع الجسور إذا جرى

من عين كاذبة

فأنكر وادّعى

إني رأيتكما

إني سمعتكما

عيناك في عينيه

في شفتيه

في كفيه

في قدميه

ويداك ضارعتان

ترتعشان من لهف عليه

تتحديان الشوق بالقبلات

تلذعني بسوط من لهيب

بالهمس ، بالآهات ، بالنظرات ،

باللفتات ، بالصمت الرهيب

ويشب في قلبي حريق

ويضيع من قدمي الطريق

وتطل من رأسي الظنون تلومني

وتشد أذني

فلطالما باركت كذبك كله .

ولعنت ظني

ماذا أقول لأدمع سفحتها أشواقي إليك ؟

ماذا أقول لأضلع مزقتها خوفاً عليك ؟

أأقول هانت ؟

أأقول خانت

أأقولها ؟

لو قلتها أشفي غليلي

يا ويلتي ، لا لن أقول . أنا ، فقولي ...

لا تخجلي

لا تفزعي مني

فلست بثائر ..

أنقذتني

من زيف أحلامي وغدر مشاعري ...

فرأيت أنك كنت لي قيداً ...

حرصت العمر ألا أكسره

فكسرته

ورأيت أنك كنت لي ذنباً

سألت الله ألا يغفره

فغفرته

كوني كما تبغين

لكن لن تكوني ..

فأنا صنعتك من هواي ، ومن جنوني ....

ولقد برئت من الهوى ومن الجنون

من خواطر كامل الشناوي

في السنوات الأخيرة من حياة الشاعر الفنان ، كان يطلق في الصحف اليومية التي عمل رئيساً لتحريرها ، فيضاً من خواطره التي يسجلها على أوراق متناثرة هنا وهناك ... وكان يسمي هذه الخواطر ساعات ...

هي مزيج درامي من أفكار كامل الشناوي ومشاعره في الحب والصداقة والخيانة والبهجة والوحدة والغزل ... هي كامل الشناوي نفسه داخل حلبة الحياة .

(كان مفروضاً أن أكون معهم ، أشاركهم الاحتفال بعيد ميلادها ، فهي صديقة ، وهم أصدقائي ... ولكنهم نسوا أن يدعوني إلى الاحتفال . وتداركوا نسيانهم فذكروني في سهرتهم ... قدّموا إليها هداياهم ، وكانت سيرتي أبرز ما في الهدايا ... وضعوها أمامها مع « الطورطة » ... ومع « الطورطة » مزقوها بالسكين .

ثم أكلوا ... أكلوا « الطورطة » وأكلوا سيرتي .

لست غاضباً من أصدقائي ... أنا فقط أبارك شهيتهم المفتوحة وأبدي إعجابي بذوقهم في إختيار الهدايا) .

* * *

(كلما ضاع مني صديق أبكي عليه كما لو كان قد فارق الحياة، وأدفنه في قلبي وضعت اليوم يدي على صدري فخيل لي أنه مقبرة تضم مئات من الأضرحة) .

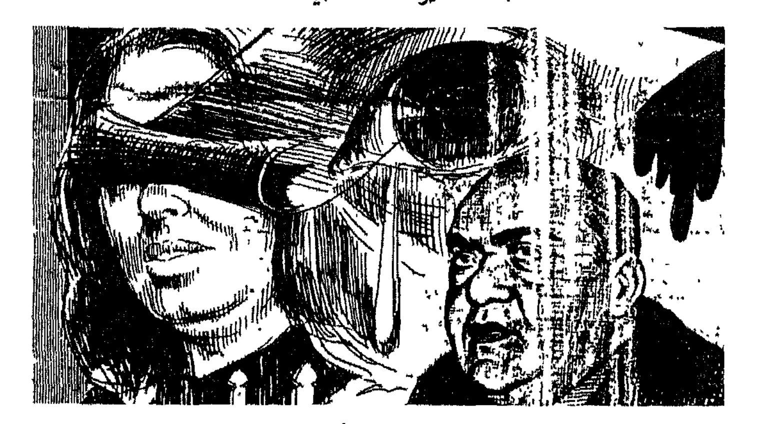
***

(هل ألعنها أم ألعن الزمن ؟ كانت تتخطفها الأعين ، فصارت تتخطفها الأيدي .

كانت تروح وتجيء أمامنا في خفة متزنة . ووقار يثير الإغراء . لم تكن تمشي ولكن كانت تسبح في غدير . وكان خيالي يسبح معها ، ومازال يسبح إلى الآن) .



نجاة الصغيرة : لا تكذبي



الرسم الذي أثار غضب نجاة ورأت فيه وجهها



مصطفى أمين

بيرم التونسي ـ أمير الزجل



بيرم التونسي (١٨٩٣ ـــ ١٩٦٠) هو فنان الشعب ذو الموهبة الخصبة الغزيرة الذي ترك خلفه آلاف القصائد والمقامات والمسرحيات والتمثيليات ... وهو صاحب الثقافة الواسعة التي نهلها من حفظ القرآن الكريم ، والشعر العربي القديم ، وكنوز التراث ...

وهو من الذين لم ينظروا إلى الفن على أنه مجرد لغة أو وسيلة ترفيه ولكنه أداة تغيير وتحرر ، فقد ارتبط بالناس ، وجند قلمه من أجل الدفاع عنهم ، والعمل على تبصيرهم بكل الأمراض التي تهدد مستقبلهم . وهو فوق كل هذا من أبرز شعراء مصر الذين اشتركوا في الكفاح الوطني وناضلوا ضد الاستعمار والاستغلال والقصر ، ودفع ثمن ذلك عشرين سنة في المنفى بعد أن طرده الملك فؤاد وأصدر أمراً بترحيله إلى فرنسا ، ليتحمل من أجل الكلمة الشريفة مرارة الجوع والتشرد في شوارع ليون ، ومارسيليا ، وباريس .

صفحات من مذكراته

يقول بيرم التونسي :

ــ اعتدت أن أتناول في كل أسبوع « شيكاً » على « البنك » يرسله مدير الجريدة التي أحررها في القاهرة . ولكنه أخذ يرسل « الشيك » في كل أسبوعين ثم تقدم خطوة إلى الأمام فجعل يرسله كل ثلاثة أسابيع والمبلغ الأسبوعي هو نفسه .

سكنت في حجرة في الدور السابع من أحد المنازل العتيقة أجرتها ستون فرنكاً فرنسياً في الشهر . وفيها كنت أحبس نفسي للكتابة لأمد الجريدة بالمواد التي تكفيها كل أسبوع .

في الأسبوع الأول من شهر شباط (فبراير) عام « ١٩٢١ » اشتد البرد وغطت الثلوج شوارع وسطوح الديار في ليون . ووقفت الأشجار مجردة من الأوراق كالهياكل العظمية . وقد تناولت الطعام في هذا الأسبوع مرتين أو ثلاثاً . وقبل الليلة التي أكتب فيها هذه الكلمات رقدت بلا عشاء . وفي مثل تلك الحالة يشعر الإنسان أن النوم يغني عن الطعام بعض الغناء فبقيت في الفراش أنظر من النافذة إلى السماء المكفهرة ولا أعرف إن كان الوقت ضحى أو مساء . وكلما سمعت وقع الأقدام على السلم حسبتها خطوات ساعي البريد جاء بالخطاب « المضمون » . وعندما سمعت نشيش المقلاة عند جيراني وصعدت رائحة « البيفتيك » المقلي في الزبدة علمت أنه الظهر . وخيل إليّ أني لو نزلت إلى المدينة لعثرت على كثير من الأصدقاء الشرقيين الذين يطلبون العلم ويعيشون في رفاهية فنزلت فرأيت الشوارع خالية من المارة والمطاعم والمقاهي مقفلة على من فيها . وكم ترى عابر سبيل يمشي مسرعاً كأنه ذاهب إلى أمر مهم وهو في الحقيقة ليس لديه ما يقصده .

وواصلت السير إلى ميدان البلدية . وكنت أتبسط لمنظر هذا الميدان الذي يجتمع فيه عشرات الألوف من الحمام الأبيض والأزرق وتذهب إليه الأمهات والمربيات ومعهن الأطفال الصغار ، وكميات من الحبوب فيأخذ الطفل الذي لا يتجاوز الثالثة كمية من الحبوب في يديه ويعرضها للحمام فترتفع عن الأرض طائرة بجناحيها وتلتقطها من كفه بلا خوف . ولكن الميدان في ذلك الوقت كان خلواً من الأطفال والحمام . وبينما كنت أتأهب للرجوع من شدة البرد قابلت خليطاً من الطلبة فيهم المصري والتركي والتونسي فصافحني بعضهم فشعرت بالدفء يسير في جسمي من هذه المصافحة . ولم أستطع النطق بكلمة غير رد التحية وكفى .

في الساعة الرابعة بعد الظهر أضاءت مصابيح المدينة وإن كان في حساب أهلها أنهم في النهار وما هي التسلية التي يجدها من يجوع ثلاثة أيام إلى أن تحين ساعة النوم . كان منظر اللحم والأجبان والخبز في الحوانيت أجمل وأشهى من منظر المجوهرات والفراء

والمنسوجات الفاخرة . لقد كنت أجد نفسي واقفاً أمام واجهة الحلواني أتفرج على الفطائر المنقوشة في ذهول ثم أنتبه وأحسب أن الناس تراني وتعلم حقيقة أمري فأنصرف خجلاً .

للجوع ثلاثة أدوار

الأول يشتهي فيه الجائع كل شيء حتى الحشائش وأوراق الشجر .

والثاني مغص والتواء في الأمعاء .

والثالث غيبوبة وأحلام وهذيان .

عدت إلى الحجرة فخيل إليّ أن البرد فيها أقسى منه في الشارع . وأوحى إليّ الهذيان أن أستعمل القاعدة المشهورة : الحاجة أم الاختراع . وماذا عسى أن يخترع الإنسان ؟ ألمس بيدي الفراش فأجده طرياً فأحسب أن حشوه يصلح للغذاء . هل أبيع البطانية التي أملكها ؟ ولكن أين هو المشتري في تلك الساعة ؟ بحثت في كل مكان . وقلبت كل وسادة لعلني أجد تحتها قطعة من الخبز أو ما يشبه الخبز . وقلبت « الكنبة » بحركة عنيفة كالمجنون فلاحت لي بصلة تلمع قشرتها الذهبية تحت النور . والبصل لذيذ إذا شوي في النار .... ولكن لا أملك الوقود ولا الثقاب . ولسنا في مدينة شرقية حتى نجد بسهولة الأوراق والأخشاب ملقاة في المزابل أو نجد من نستوقفه ونطلب منه عوداً من الثقاب على سبيل المروءة ... أعددت الوقود من المواد الآتية :

- قاموس عربي وفرنسي .
- ديوان « أبي العتاهية » .
- عدة خطابات من الأصدقاء والعائلة .

وحسبت أن صاحب المنزل لا يبخل علي بالثقاب فقرعت الباب وكانت الساعة التاسعة مساء فخرج كالمنزعج . ولما طلبت إليه عوداً من الثقاب أطرق لحظة ودخل ثم عاد ومعه عود واحد من النوع الملبس « بالفوسفور » الذي يوقد بالحك على أي جسم

صـلب . ولكنه أبي أن يشتعل على جانب الموقد الحديدي وأنا أحكه برفق وكياسة وكانت رأسه في كل حكة تطير جزءاً بعد جزء فقرعت باب الرجل مرة أخرى فلما رآني أطلب عوداً آخر لوى وجهه وأغلق الباب بعنف . وكان أحد الجيران في تلك اللحظة صاعداً على السلم ينظر إلى ما يجري فقدم لي علبته بحالها .

ارتكزت البصلة العزيزة بين قصائد (أبي العتاهية) ، وخطابات (سيد درويش) ، و(عباس محمود العقاد) ، وصعد اللهيب من الكانون يدفئ الحجرة وينيرها إلى أن احترقت جميع الأوراق وبحثت عن البصلة فوجدتها قد سقطت من بدء اشتعال النار في أسفل الموقد ولم ينضج منها غير ثوبها الخارجي ... ولكن الدفء وحده في بلد مثل ليون يعد لقمة كبرى . لاسيما مع النوم ....

الحنين إلى مصر

ويزداد شوق بيرم التونسي للعودة إلى مصر .. ويلهف فؤاده للذكريات الطيبة والبهيجة التي يحمله في قلبه عن أحياء القاهرة الشعبية ... ونهر النيل الخالد ... فيكتب قائلاً :

عطشـان يـا صبـايـا	عطشـان يـا مصريـين
عطشـان والنيـل في بلادكم	متعكـر مليـان طـين
ولا نهـر الرين يـرويـني	ولاميـة نهـر السـين
ودمـوع العـين مـا بـتروي	نـار القـلب الحـزين
شـدة وتـزول يـا معـوض	سبحـانـه رب معـين

النموذج الصادق للشخصية الثائرة

إن بيرم التونسي هو النموذج الصادق للشخصية العربية المصرية الثائرة في مطلع هذا القرن . فهو ابن البلد الذي عاصر قمة التناقضات الإجتماعية في مطلع هذا القرن

ـــ على حد تعبـير الأستـاذ كمال سـعـد ـــ . وقاوم على طريقته الخاصـة جحافل المستعمرين . وحمل معولاً لهدم كل آثار العادات والتقاليد السيئة ....

وعلى الرغم من أن بيرم التونسي اهتم في مطلع حياته بكتابة الزجل والشعر والقصة ، إلّا أن شهرته كزجال فاقت كل الألوان الأخرى ، وأصبح أسـلوبه اللاذع ومعـانيـه الصريحة الواضحة تجذب جمهوراً عريضاً من الذين وجدوا فيه مدرسة جديدة في فن الزجل :

الأوله آه ، والتانية آه ، والتالتة آه

الأوله ، عيروني ان نا فلاح

والتانية ازرع واقلع للي نام وارتاح

والتالته آه اللي أحبه شط مني وراح

الأوله عيروني ان نا فلاح بدفيه

والتانية أزرع وأقلع للي نام

وارتاح في دهبية

والتالتة آه اللي أحبه شط مني

وراح ـــ في صبحيه

....

الأوله مش بايدي قضا محتوم

والتانية ومسيرها ناس تغرق وناس حاتعوم

والتالتة ميت هم يرحل ألف هم يدوم

الأوله آه

والتانية آه

والتالتة آه

بدوي الجبل ـ عملاق الكلاسيكية المعاصرة



ولد محمد سليمان الأحمد في قرية (ديفة) إحدى قرى محافظة اللاذقية عام « ١٩٠٣ » ، وترعرع في قرية (السلاطة) ، في نفس المحافظة .

نشأ في بيئة دينيه وفي بيت علمي عريق ، يضع العلم والأخلاق في المكان الأول . كان والده ـــ العلّامة الشيخ سليمان الأحمد عضو المجمع العلمي العربي بدمشق ـــ فقيهاً معروفاً وفيلسوفاً كبيراً وأديباً مبدعاً وشاعراً ، حيث جعل منزله مدرسة مفتوحة لطلاب العلم وعشاق اللغة العربية والأدب ، والفقه الإسلامي .

كان شاعرنا أكبر أبنائه الذكور ، وقد توفيت والدته وهو في الثانية من عمره ، ولم يفتقد وجودها لأنه ما احتفظ منها بذكرى وهو في تلك السن ، ولأن زوجة أبيه كانت رحيمة شفيقة به .

يقول بدوي الجبل عن دور والده في إيمانه وشاعريته :

ـــ بدأت القراءة بالقرآن الكريم . ثم قرأت على أبي رضي الله عنه ، برغبة منه ، الحديث الشريف ، ونهج البلاغة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وهو غاية الغايات في البيان ، والإيمان ، والفناء في الله .

ثم قرأت على أبي بعد ذلك اللزوميات لأبي العلاء المعري ، وكان معجباً بها ، وله شرح على اللزوميات -لم يكتب في اللغة العربية ، من طرازه عن أبي العلاء ، ثم قرأت عل المتنبي ، وأبا تمام ، والبحتري ، والشريف الرضي ، ومهيار الديلمي والحماسة لأبي تمام .

كيف جاء تسمية بدوي الجبل ؟

كان الشاعر في صدر يفاعته يرسل قصائده إلى جريدة (ألف باء) الدمشقية ، ولم يكن على قدر من الشهرة تناسب رفعة شعره ـــ على حد تعبير الأستاذ أكرم زعيتر ـــ ، وحدث سنة « ١٩٢١ » أن هزّ العالم نبأ المناضل الايرلندي ، ماك سويني ، محافظ

مدينة كورك الذي جعل احتجاجه على وجود الانكليز في بلاده صياماً حتى الموت ، وسبك صلاة لبني وطنه يرتلونها في كنائسهم .

ثم قضى صائماً ، وأطلع الشاعر على فحواها فنظمها بالعربية ، وبعث بها إلى (ألف باء) مع تحية شعرية لروح المناضل وأما الصلاة فهذه هي :

أمُنَـوِّل الأمم الضـعيفـة حقهـا	ومديـلهـا القهـار من ظـلامهـا
اسمح لنـصرك أن يـرفرف فوقهـا	ويطـاول الجـوزاء في أعـلامهـا
ان لم تروّ الفـوز قبـل حمـامهـا	فـاسمح بـه يـا رب بعـد حمامهـا
فـتراه بعـد المـوت في أرواحهـا	إن لم تكن شهدته في أجسـامها

وفي اليوم التـالي رأى الشـاعر قصيدته والصـلاة مذيلة بتوقيع (بدوي الجبل) . فسعى إلى صاحبها الأستاذ يوسف العيسى مدهوشاً يسأله عن السبب فأجابه « أن الناس يقرأون للشعراء المعروفين ، ولست منهم ، وهذا التوقيع المستعار يحملهم أن يقرأوا الشعر للشعر ، وأن يتساءلوا : من ذا يكون هذا الشاعر المجيد ؟ وأنت في ديباجتك بداوة وأنت تلبس العباءة وتعتمر العقال المقصب وأنت ابن الجبل » . وتوالت قصائد البدوي ونقلتها صحف في بيروت شادية بها ، والناس يتساءلون : عمن يكون ؟ أهو خير الدين الزركلي أم هو خليل مردم بك ؟ وهما شاعرا الشام آنئذ ، إلى أن دعا صاحب الجريدة نخبة من الأدباء وأعضاء المجمع العلمي إلى احتفال قدّم فيه الشاعر : « هو ذا بدوي الجبل ، محمد سليمان الأحمد ، وراح البدوي يشدو وهم في نشوة مما يسمعون .

وغلب اللقب على الاسم ثم حل محله في البيت وخارجه به تناديه زوجته وأولاده والناس كلهم ، وكذلك كان شأن المتنبي الذي ندر أن يعرف الناس أسمه ... وحين سافر إلى القاهرة سنة « ١٩٣٨ » لحضور المؤتمر البرلماني لنصرة فلسطين ، كان يتلقى لكـل اجتماع أو احتفـال بطاقتين إحداهما معنونة باسم (سعادة بدوي بك الجبل) والأخرى باسم (سعادة النائب محمد سليمان الأحمد) .

أدوات الشعر العالي

يمتلك بدوي الجبل أدوات الشعر العالي : الخيال واللفظ والعاطفة واللغة والنغم أو الموسيقا ، والأسلوب هو الذي يوائم بينها . خياله يتسم بالجدة والطرافة والعمق ...

وجعــل البدوي من أغراض شعره استثـارة الحسن الوطني والذياد عن الأهداف القوميـة العـليا شـأن من يستودع قلبه ضمير وطنه فيجيء شعره صورة فنية لخواطره وهواجسه ونبضات فؤاده .

قصة خلافه مع كوكب الشرق أم كلثوم

في الخمسينـات جاءت السيدة أم كلثوم إلى دمشق ، وأحيت حفـلتها الفنية في مدرسة (اللاييك) وقد دعته إلى حضور الحفلة فذهب إلى مسرح المدرسة ، على الرغم من أنه لا يحب مثل تلك الحفلات الغنائية العامة .. ويضيف الشاعر الكبير :

وفي اليوم التـالي زارتني في المنزل يرافقها السيد محمود رياض سفير مصر بدمشق آنذاك ، وطلبت مني أن أسمح لها بغناء قصيدتي المسماة (شقراء) التي نظمتها من وحي فتاة سويسرية ومما قلته في تلك القصيدة :

شــقـراء يـا لون حسـن محبب مستبـــــــــد

وقد طلبت أم كلثوم أن استبدل كلمة (شقراء) بـ (سمراء) فاعتذرت عن تحقيق طلبها ، لأن القصيدة بالأساس ألهمتني إياها فتاة سويسرية شقراء وليست سمراء ... ثم زارتني أم كلثوم مرة ثانية من أجل أن أغير رأيي فباءت محاولتها بالاخفاق ... وخرجت غاضبة من منزلي .

مواقف الرجال في أيام الأزمات

يقول الأديب الكبير الأستاذ أكرم زعيتر :

قام العقيد أديب الشيشكلي بإنقلاب عسكري في سورية ، وراح يتنكر لكل داعية

اتحادي ، وكان البدوي هدف مراقبة شديدة بعد أن أقصي وإخوانه عن النيابة فلاذ ببيروت .

وحرصت حين زرتها ــ والكلام للأستاذ زعيتر ــ في مطلع سنة « ١٩٥٢ » على لقائه ، وكان في ضيق نفساني ولكنه يحمد الله الذي نجاه من الهم ... وروى لي كيف نجا قائلاً :

ــ اشتد عنف الشيشكلي ضد معارضيه ، وزج كثيرين منهم في السجون ... وتوقعت وأنا في اللاذقية أن يجيء دوري فأعددت حقيبتي ...

وحدث ذات ليلة ، بعد إنتصافها أن قرع جندي باب الدار ... وكانت المفاجأة النبيلة ... إذْ رأيت صديقنا المشترك المجاهد سعيد السيد محافظ اللاذقية يبرح السيارة ويسلم عليّ ويطلب إليّ أن أصعد السيارة مستعجلاً وأن أضع الحقيبة فيها ، ففعلت وسألته : إلى أي سجن ؟ فأجاب ــ والسيارة تنطلق سريعة ــ : تلقيت منذ دقائق برقية مستعجلة من العقيد الشيشكلي تأمر باعتقالك ، فقررت أن أجيئك وأن أنقلك بسيارتي الرسمية والعلم السوري عليها يرفرف ، إلى حدود لبنان حيث الأمان ، والمهم أن نصل إلى لبنان قبل طلوع الفجر ، وأوصلني إلى الحدود وأطمأن إلى نجاتي ، ثم عاد ... فهل ترى أنبل من هذه المغامرة

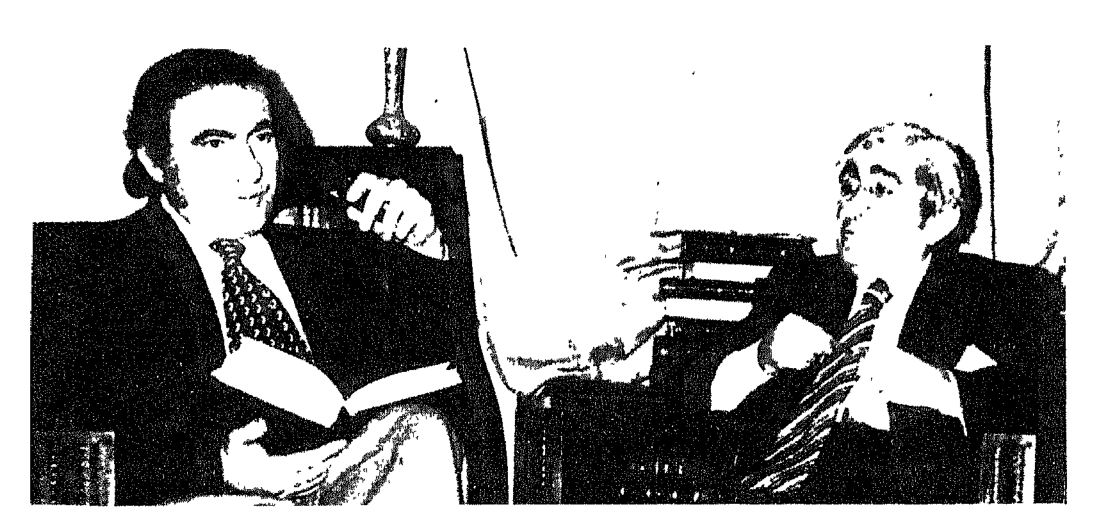
في ذمة الله

ظهر الثلاثاء في ١٩٨١/٨/١٨ ، توقف قلب الشاعر الكبير . كان فقيد الأمة العربية سيد الكلمة ... وأستاذاً لأجيال الشعراء .... ومدرسة في الأسلوب العربي ... وعملاق الكلاسيكية المعاصرة .

وكان شعره تاريخاً حياً لقضايا الأمة العربية خلال نصف قرن .... غنى ثوراتها ... وغنى آلامها ومآسيها وانتصاراتها ... لهذه الأسباب قالوا عنه :

« السيف اليماني الوحيد المعلق على جدار الشعر العربي . في حنجرته ألف لبيد ، وألف شريف رضي ، وألف أبي تمام ، لا تستطيع إلاّ أن ترفع قبعتك وتنحني بكل وقار واحترام أمام عبقريته » .

ونام البدوي ... ولا يزال في نوم الموت البارد ... وكان قد سكت منذ أعوام عن الشعر ، فلم تعد يده تسعف قلمه ولم يعد لسانه يطيع قلبه وعقله . فأغمض عينيه تاركاً عشب النسيان ينبت على ذقنه المباركة ــ على حد تعبير الشاعر المبدع طلال حيدر ــ.

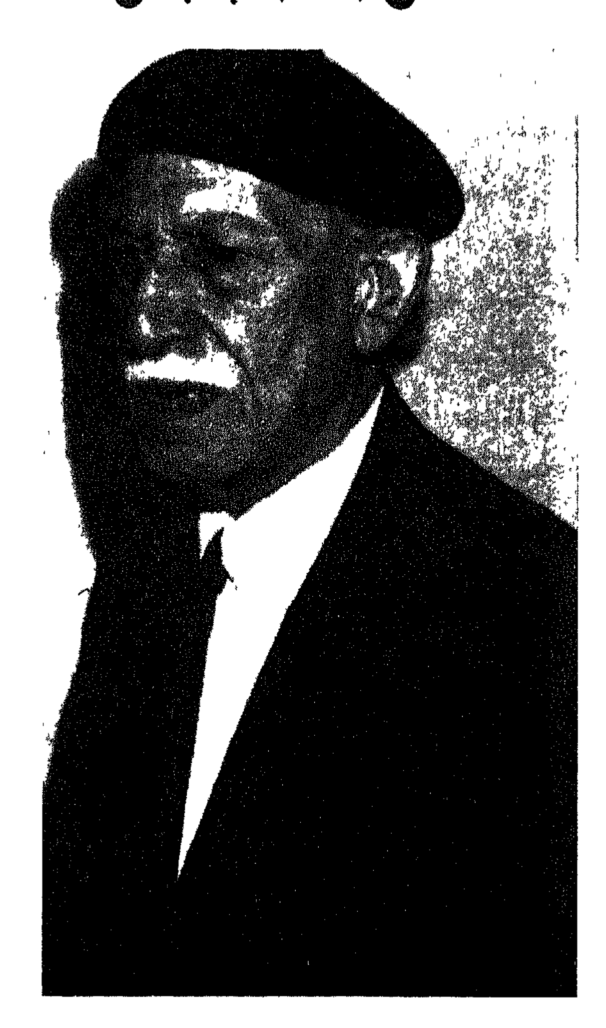


بدوي الجبل مع الشاعر السوري محمد عمران



بدوي الجبل والأخطل الصغير

توفيق الحكيم :
عاش متهما بالبخل



لاتزال ظاهرة البخل من خلال النماذج والشخصيات والمواقف السلوكية مادة غنية جليلة الشأن في آداب الشعوب والأمم ، وقد كتب عن البخل الشاعر اليوناني « ميناندر » الذي كان له مسرحية في ذلك النموذج لم تصل إلينا حاكاها الشاعر الروماني « بلوتوس » في مسرحيته التي عنوانها (وعاء الذهب) ، وبها تأثر « موليير » في مسرحيته الشهيرة (البخيل) ، بحيث ظهرت هذه الرذيلة بأولاده وفي نظرته إلى المجتمع ، حتى أن عاطفة الحب عنده لم تطغ على صفة البخل فيه .

ولم يقتصر أدب البخل على الأدب اليوناني ، واللاتيني ، والإيطالي ، والفرنسي ، بل أن الأدب الانكليزي والأسباني عرفا هذا النوع من الأدب ، لاسيما إذا عرفنا أن نموذج البخيل يعد من نماذج الأدب المقارن ، لأنها انتقلت تاريخياً من أدب إلى أدب ، كما هو واضح من منهج الأدب المقارن .

وعرف الأدب العربي هذا النموذج ، من خلال (مقامات الهمذاني) ، و(مقامات الحريري) ، وبعض الأخبار والنوادر الواردة في (العقد الفريد) ، و(عيون الأخبار) ، و(الأغاني) ، و(البخلاء) للجاحظ .

ويلاحظ أن غاية الجاحظ من تأليف الكتاب ، تنفير الناس من البخل ، والدفاع عن العرب ببيان مآثرهم ومناقبهم الحميدة في الكرم والمروءة . ويمهد الجاحظ كتابه بنظرة عامة على نفسية البخيل ، ويحاول من خلالها أن يكشف عن العوامل التي تحدو البخيل على التمسك بالبخل .

إنما أوردت هذه المقدمة ... والإضاءة للدفاع عن شخصيات عربية اتهمت بالبخل على سبيل الدعابة والمرح البريء غير أن هذه التهمة ألصقت بهم وتمسك الرأي العام العربي بها ، حباً للدعابة ، أو رغبة سرية من بعضهم ... في الاستهزاء من شخصية عظيمة ، وربما يكون الأديب نفسه ضحية لنكتة أطلقها على نفسه ، دون أن ينتبه إلى

خطورتها المستقبلية ، ومن هؤلاء نذكر الأديب الراحل توفيق الحكيم ، فلا يكاد يذكر اسمه ، حتى يتهم بالبخل ، وأن هاجسه في هذه الدنيا جمع المال .

صورة جاحظية لتوفيق الحكيم

ويبدو أن عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين ، رغب بتقديم صورة جاحظية لتوفيق الحكيم ، بهدف الدفاع عنه ، فألقى هذه الكلمة الرقيقة ، في حفل استقبال الحكيم عضواً بمجمع اللغة العربية :

« وخطر لي أن أصطنع في استقبالك مذهب الجاحظ حين عرض لأحمد بن عبد الوهاب فقال في أول رسالة « التربيع والتدوير » : إن أحمد بن عبد الوهاب كان مفرط القصر : يزعم أنه مفرط الطول ... وكان مربعاً ويزعم أنه مدور ... وكان متقادم السن والميلاد ويزعم أنه حديث السن والميلاد ... فما أظن أن مذهباً من المذاهب يليق باستقبالك إلّا مذهب الجاحظ هذا ... أنت جواد ، وتزعم أنك بخيل ... وأنت ماهر ومداور ، وتزعم أنك ساذج وصاحب جد ... وكذلك صورت نفسك للناس بصورة ليس بينها وبين الحق من أمرك صلة » .

بعدها ، وفي جلسة ما بعد حفل الاستقبال في المجمع ، قال الدكتور طه حسين للمحتفلين : إن توفيق الحكيم يقول للناس أنه بخيل ، وأنا أشهد للناس أنه ليس بخيلاً ... وعندي ما أدلل به على ذلك . ففي سنين متعددة كان ينتظرني في عودتي من الخارج ويدعوني مع زوجي والأستاذ حسين فوزي إلى الغداء ، ويدفع الثمن :... ولكن اللطيف أنه بعد انتهاء الجلسة جاءه معاتباً : لماذا قلت أني لست بخيلاً ؟ ستسلط الناس عليّ وسيأتون لي يطلبون المزيد

رأي الصحفي الكبير محمد حسنين هيكل

« هل تذكر حكايات « زمان » حتى من قبل أن تجمعنا معاً تجربة الأهرام ؟ تذكر أيام كنت أنا صحفياً شاباً ، وكنت أنت أديباً كبيراً يشار له بالبنان ، وكان بيننا ما

أسميتـه أنت بالثوابت : « المحبـة والمودة » . كان كلانا مشـدوداً إلى الآخر ربما بحكم اختلاف الطبائع والتوجهات ... كنت أنت باحثاً عن الحقيقة بإلهام الفن ، وكنت أنا باحثاً عنها في خضم الحوادث . وقتها كنا نتغدى معاً كل يوم ، تدعوني مرة وأدعوك مرة ليتوازن الحساب وأنت دائماً دقيق في الحساب وكانت لك قواعد أثارت وما زالت تثير عجبي ، أو هل أقول إعجابي ؟ كنت قد وضعت قانوناً للحسـاب بيننا . إذا كانت الدعوة يوماً عليك فقد كان شرطك جازماً : لو أردت أنا اختيار المطعم الذي نتغدى فيه فأنت الذي تختار الطب الذي أطلبه ... لو كان لي أن أختار الطبق فأنت الذي تختار المطعم ـــ وهكذا تضمن في كل الظروف أن تتحكم في الميزان .

ما زلت كما أنت في حساباتك وقوانينك . ظننت أنك في كلمتك تريد أن تدعوني معك إلى غداء . فإذا أنت بفرط ذكائك تدعوني إلى أن أدعوك ... وتختار أنت المطعم والأطباق ، وتنسى كل فواتير الحساب » .

توفيق الحكيم والمرأة

الحبيبة الأولى لتوفيق الحكيم ، هي « الأسطى لبيبة شخلع » العالمة ، وكان الفنان الصغير في السـادسـة من عمره ... وقد اندمج في فرقة العالمة وصـارا واحداً من أفر « التخت » .

كانت تجول في نفس الصغير مشاعر مبهمة تدفعه إلى أن « ينحشر » بين العوالم ويأكل ويغني معهن ، حريصـاً على اعتباره « سنيداً » كحفيظة ونجية وسلم العمياء ، يذهب معهن إلى العرس ويأبى إلّا أن يحمل شيئاً من آلات الفن ، يدل على أنه عضو في« التخت » .

تلك « المشـاعر المبهمة » هي ميول الفنان ، نراها تظهر مبكرة في عالم الموسيقى والغناء ، وفيها شيء آخر ... شيء يبعث في نفسه الفرح ، وهو يجلس على الأرض مع أفراد الفرقة ، ناظراً إلى تلك المرأة اللطيفة الظريفة التي ناهزت الثلاثين ، مرتفعة في الوسط

على كرسي كبير تحمل العود بين ذراعيها .... كان ينظر إليها كمن ينظر إلى إلهة فوق قاعدة من الرخام .

كانت « الأسطى شخلع » تزور أسرة توفيق الحكيم كل صيف مع تختها وآلاتها، فتلبث عندهم طول الصيف أو بعضه ضيفة مكرمة تسلي الست الكبيرة جدة توفيق الحكيم التي أشار الطبيب على الأسرة أن يفرحوها ...

وتوفيق الحكيم الذي صار فيا بعد الأديب الكبير . ومن الإحساس الدقيق يدلنا على وجود قلب إنسان فنان في ذلك الوقت ، شعوره بالعطف على « سُلُم » العمياء زميلته في التخت ، إذْ قدّم إليهم في العرس طبق من « الكسكسي » ونسي الخدم أن يحضروا الملاعق ، فجعلوا يأكلونه بالشوكة : يجعلونها في وضع أفقي ... وحاولت الضريرة ، إذْ كانت تغرزها راسياً فلا يعلق بها شيء ، وأراد باقي الزميلات أن يتركنها هكذا ليضحكن ويتسلين ، ولكن توفيق الحكيم رقّ قلبه فأخذ يعلمها أكل « الكسكسي » بالشوكة حتى استطاعت أن تأكل مثلهم .

هذا هو في باريس ، عصفوراً من الشرق ، ذهب إليهم يطلب العلم ، ولابد للفتى الحالم أن يطلب الحب أيضاً ، ويظهر أن الفرنسيين الذين نزل عندهم أسموه عصفوراً من الشرق ، لأنهم رأوه شاباً نحيلاً وادعاً خيالياً ، وقد كان فعلاً خيالياً أكثر مما ينبغي ، لا بالنسبة للباريسيين فقط ، بل كذلك بالإضافة إلى الشرقيين أنفسهم ...

إنه يحب فتاة تجلس في شباكها تشرف على الناس بعينين من فيروز ، وهم يمرون أمامها من كل جنس ومن كل طبقة ، وهي تبتسم بين آن وآخر ، دون أن يعرف أحد سر قلبها .

ليست هذه الفتاة شهرزاد ، وإنما هي عاملة في شباك تذاكر مسرح « الأوديون » ... أتخذ قاعدته في مقهى أمام الشباك ينظر إلى « سوزي » ذات العينين الفيروزيتين ، ويحثه صديقه الفرنسي على أن يذهب إليها ويفاتحها بما في نفسه .

ثم يضيق العصفور بالجلوس في المقهى ... فيتبع سوزي حتى يعرف الفندق الذي

تقيم فيه ، وينزل به في حجرة فوق حجرتها ، ويهدي إليها ببغاء في قفص على طريقته أيضاً ... ويصيح الببغاء حين يشاهد (سوزي) : أحبك ... أحبك ... فضحكت سوزي وقالت :

ــ عجباً من لقنه هذه الكلمات ؟

ــ لا أحد ... في « عينيه نظر » هذا كل ما في الأمر والواقع أن الذي في عينيه نظر هو « العصفور » لا الببغاء ... ولعله قد اختار هذه الهدية لا لطرافتها فقط ، وإنما لشيء آخر هو أنها هدية لا تتكرر ... فالببغاء لا يبلى كالجورب « النيلون » ، ولا يذبل كالزهرة ، ولا ينفد كزجاجة العطر ، والأمر في كل ذلك يحتاج إلى تجديد الشراء ...

ولعلي أستطيع هنا ــ والكلام للأديب عباس خضر ــ أن ألقي ضوءاً على ما يسمى « عداوة توفيق الحكيم للمرأة » إنه يتخيلها كما يقول ، تمثالاً من الفضة ، أو باقة من الزهر ، أو قطعة من روائع الموسيقى ، ولكنه يحب أن تكون هذه القطعة مسجلة على أسطوانة ، ينطقها ويسكتها بإرادته ...

وهو يرى المرأة مخلوقاً ضعيفاً هشّاً بين يدي من تحب ، ولكنها قاسية جبارة مع غيره تحطم كل قيد يحول بينها وبين الرجل الذي تريد ، وقد تبني مع من تحبه ، فهي هادمة من ناحية ، بانية من ناحية أخرى .

وهو بعد هذا يخشى بأسها على حريته ، لأنه يتمثلها كسجان ... تسجن الرجل جنيناً في بطنها ، وتسجنه أسيراً في حبها ، وأخيراً تحبسه في بيت الزوجية حيث يبقى إلى النهاية .

من أقوال توفيق الحكيم

ــ إنني لم أر أحداً من هؤلاء العرب الذين يدفعون الإكراميات « والنقوط » بسخاء حاتمي إلى الراقصات ، ويقول : والله لقد أعجبتني هذه المقالة لفلان أو هذه القصة لفلان . ودفع له كما يدفع للراقصة . يبدو أننا لازم نرقص أيضاً .

ـــ إني في حالة قلق دائم طوال حياتي حتى عندما لا أجد مبرراً لأي قلق ، سرعان ما ينبع فجأة من تلقاء نفسه ، هذا القلق الروحي والفكري لا ينتهي عندي أبداً ولا يهدأ إني سجينه سجن الأبد .

* * *

السيدة هدى شعراوي هي التي ألصقت به تهمة العداء للمرأة ... لأنني رفضت أن أتزوج إحدى صديقاتها ... والسيدة أم كلثوم هي التي أشاعت عني صفة البخل لأنني لم أكن أستجيب لدعواتها المتكررة للتبرع لأعمال الخير .

* * *

إني لا أطيق أحداً أن يحقر الأفكار والكلمات ... إن الكلمات هي التي شيدت العالم ... الكلمات الصادقة والأفكار العالية والمبادئ العظيمة هي وحدها التي قادت الإنسان في كل أطواره ووجوده ، وبنت الأمم والشعوب في كل مراحل تاريخها .. ما من حركة وطنية أو قومية إو إنسانية قامت أول أمرها على شيء غير المبادئ والكلمات .

* * *

رأي في توفيق الحكيم

يقول الدكتور علي الراعي :

توفيق الحكيم يعترف في صدق وإخلاص مؤثرين بأن ما قدّمه لنا من أعمال فنية مختلفة لم يكن كله في المستوى الذي كان يأمل فيه . وهو يرى أن هذا من طبيعة الأشياء . فقد قام الحكيم بدورين مختلفين في وقت واحد ، يمكن وصفهما إذا استعرنا لغة الزراعة بأنهما خلاصة للأرض الخصبة واستصلاح للأرض البور .

أما الأرض الخصبة فهي المسرح وذلك إذا أدخلنا في الاعتبار أن نشاط مصر المسرحي المعاصر قد بدأ قبل نصف قرن تقريباً من ميلاد الحكيم . وإن كان الحكيم هنا قد زاد من خصوبة الأرض كثيراً وجلب لها شيئاً ثميناً دفع فيه الكثير من راحة البال وهو الاعتراف بالمسرح فناً رفيعاً جديراً بالكتابة له .

أما الأرض البور أو الأقل خصوبة فهي الرواية التي كان ميدانها خلواً من أي إنتاج ذي بال عدا (زينب هيكل) في الحكيم ووضع في هذا الميدان حجر أساس كبير وبناء من طابقين عرفت بها الرواية المصرية طريقها إلى التطور والنضوج .





لقطات من حياة محمد مهدي الجواهري
شاعر العرب الكبير



صورة لمؤلف الكتاب مع الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري



يعتبر الأدب العربي من أغنى الآداب التي اهتمت بالسير الذاتية ، التي يكتبها الأديب نفسه ، إضاءة لشخصيته ونفسيته التي تشبه الخلجان العميقة ، أمام القارئ والناقد والأجيال القادمة ...

لذلك فإن أهمية دراسة السيرة الذاتية لأديب ــ ما ــ هي في أهمية كل دراسة للنصوص الأدبية ، أو البحث والتنقيب في الوثائق التاريخية ، والأمر يتوقف على ما نريده نحن من دراستنا لنصوص السير الذاتية : عما نبحث فيها ــ على حد تعبير د . نقولا زيادة ــ .

وفي العودة إلى السير الذاتية ، في المكتبة العربية المعاصرة ،نجد بين أيدينا السيرة الذاتية للأديب اللبناني الكبير ميخائيل نعيمة ، وهي تقع في ثلاثة مجلدات ومزدانة بالصور« الفوتوغرافية » النادرة التي تمثله في مختلف مراحل حياته ... هذه السيرة الرائعة تحمل اسم (سبعون) ، وتتناول جوانب خفية من شخصيته الفذة ،وتتحدث عن جوانب مجهولة من صفحات حياته حتى ال « ٧٠ » سنة .

وهناك أيضا السيرة الذاتية للأديب الراحل توفيق الحكيم في كتابيه « سجن العمر » و « عصفور من الشرق » . كذلك يسجل الدكتور طه حسين سيرته الذاتية في ثلاثيته الشهيرة « الأيام » .

وفي السنوات الأخيرة ... ازداد اقبال الأدباء والشعراء ، على نشر سيرهم الذاتية في كتب مستقلة ، من هؤلاء الأدباء نذكر : نزار القباني ، وفارس زرزور ، وعبد المعين الملوحي ، وفدوى طوقان ، وجبرا ابراهيم جبرا في كتابه الصادر في لندن وعنوانه « البئر الأولى » .

أما السيرة الذاتية للأديب المغربي محمد شكري ، الذي لم يتعلم القراءة والكتابة إلّا بعد أن تجاوز العقد الثاني من عمره ، فتعتبر بحق غريبة من نوعها لأنها مثيرة للجدل ...

وقد ترجمت سيرته الذاتية التي حملت اسم « الخبز الحافي » إلى الفرنسية ، والانكليزية ، والأسبانية ، وبعد ذلك نشرت بالعربية .

وعلى مدى « ٢٨٨ » صفحة من القطع الوسط ، يحدثنا المؤلف عن طفولته البائسة .. ثم يعترف بشذوذه وانحرافه ... واغتصابه لفتاة عندما كان في مطلع شبابه ، وهي أمور لا تُقال في أدبنا العربي الرسمي الخجول ، حرصنا على السمعة ويكشف الكاتب المغربي الشجاع في سيرته الذاتية عن جريمة القتل التي ارتكبها والده النزق ضد شقيقه الصغير في لحظة غضب ..

بقي أن نذكر بأن السيرة الذاتية ، تختلف عمّا يعرف اليوم بـ (المذكرات) لأن الأولى تستمد أحداثها ومادتها من الذاكرة والانطباعات ، بينما (المذكرات) تسجل الحوادث في يوم وقوعها ، بلغة هادئة دون أدنى انفعال .

وتجدر الإشارة إلى أن شاعر العرب الكبير الأستاذ محمد مهدي الجواهري ، الذي يعتبر بحق عبقرية شعرية نادرة في دنيا العرب ، أنجز كتابة سيرته في مجلدين صدر الأول منهما منذ مدة وجيزة ...وقد أطلعني الشاعر الكبير ــ الذي يقيم في دمشق حاليا ــ على صفحات كثيرة من سيرته الذاتية ، قبل تسليمها إلى المطبعة ، لتصل إلى أيدي القراء العرب في حلة نضرة قشيبة ، فوجدت أن سيرته الذاتية ، قد مزجت بين أدب الاعترافات ، وأدب المذكرات ، والخواطر والتأملات ، وتداعي الأفكار العفوي في بعض الفصول ، مما يرشح هذه السيرة الذاتية لأن تكون متميزة من ناحية الشكل والمضمون ، وستكون فريدة من نوعها ، لأن الأستاذ الجواهري قد توخى في سيرته الذاتية الدقة .. وتحري الحقيقة التاريخية ... وفيما يلي هذه المقاطع من سيرته الذاتية كما وردت على لسان الشاعر الكبير :

هكذا أرادت العجوز الشمطاء أن تنتقم مني

« ... ذات يوم يقصدني السيد « محمد عطا الخشالي » ، المسؤول عن القلم السري في متصرفية بغداد ويقول لي : أريد أن أختلي وإياك بضع دقائق فقلت : بكل

امتنان ... نحن لوحدنا في البيت . قال : اسمع ما سأقوله لك . اليوم سجلت اسمك بيدي على القائمة السوداء ، التي سيلقى القبض عليها ، وترسل إلى المعتقل بتهمة التعاون مع رشيد عالي الكيلاني .

أثناء ذلك كانت المعتقلات قد فتحت لدعاة النازية ، أتباع رشيد عالي الكيلاني .. علاوة عن ذلك فقد تدخلت الأهواء الشخصية للحاكمين طبعا ،بتوجيه تهمة التعامل مع النازية إلى الأبرياء بهدف الانتقام الشخصي منهم ...أنا فوجئت بالتهمة لا سيما أنني أحد خصوم رشيد عالي الكيلاني ، والنازية أيضا ، وقلت في نفسي : هكذا أرادت العجوز الشمطاء بريطانيا أن تنتقم مني ، لأنني لم استجب لها وأرحب بها على صفحات جريدتي (الرأي العام) . بالاضافة إلى أن وزير الداخلية « صالح جبر » الذي كان منه معي ما كان ...

وشكرت السيد « الخشالي » على الخبر الهام .. فقال : « دبر أمرك الليلة » ، ولكن كيف أدبر أمري ؟ وفجأة قفزت إلى ذهني فكرة الذهاب إلى السيد(محمد الصدر) الشخصية الشامخة الكبيرة ، وكان يعطف عليّ ويحبني كثيرا ، وقد رشحني بيده للعمل عند الملك فيصل الأول . وإلى الآن أذكر أنني رأيت الدمع في عيني زوجتي « أم نجاح » وقلت لها : أنا ذاهب ولا أدري كيف نتدبر القضية ؟ ودعتها وذهبت إلى السيد الصدر في بيته المعهود إلى الآن في « الجعيفر » وكان الوقت عند غروب الشمس .

وكان في دار السيد « الصدر » مضافة مفتوحة لكل الناس ، وهي في الطابق الثاني ، سلمت وجلست وتلقاني الرجل بلطفه وكرمه .. قلت له : سيدي القضية كذا وكذا ، قال : عجيب قلت : والمبلغ فلان وقد كتب اسمي بيده . قال : ـــ رحمه الله ـــ الشيء الأول ، المفروض منك ألا تكون الليلة في بيتك ، وبالمناسبة كان في المجلس جماعة من أقارب السيد « صدر الدين شرف الدين » ، وشقيقه السيد « محمد رضا شرف الدين » وثالث من أصدقائهما ، وهم شعراء وأدباء يتذوقون الشعر ولهم فيه باع طويل ...قال لي السيد (محمد الصدر) : هذا بيتك عندي هنا ... وبيتك الثاني عند الجماعة إذا شئت أن تسهر ... وقبيل الظهر تكون عندي لأخبرك بالنتيجة ...

وسأذهب بنفسي إلى « صالح جبر » ... قلت : جزاك الله خيرا يا سيدي ... شكراً سأكون مع الجماعة ، وفعلا ذهبت مع الجماعة إلى بيت جميل في الكرخ ... وهناك نصب « سماور » للشاي ، وفتح حديث الشعر ودواوين الشعراء . وكان من المتوقع أن يستمر هذا السهر الجميل إلى وقت النوم والاسـراحة . وإذا بي أرفض هذا الموقف ، وأرفض التخفي والتواري عن الأنظار ، فأنا لم أخلق لذلك ، وتذكرت زوجتي وأولادي في هذا الموقف الرهيب ، وكيف سينامون وهم لا يعرفون عني أي شيء ؟ وقررت مغادرة السهرة اللطيفة ... وعبثا حاولوا اقناعي بالبقاء فاعتذرت وقلت : أشكركم كثيراً أخذت حصتي من السمر اللطيف معكم .

ورجعت إلى البيت ... وظللت مستيقظا حتى الفجر ... وأنا أسمع وقع خطوات الحارس الليلي يذهب ويجيء حتى الصباح ... ومرت الليلة بسلام . وكنت في الصباح أضيع الوقت ، حتى يحين موعد لقـائي بـالسيـد (الصـدر) ... وجاء الموعد بعد الانتظار .. وذهبت إليه .. فقال لي : صحيح كل ما قاله جارك « الخشالي » .. وقابلت « صـالح جبر » وزير الداخليـة .. وقال لي : كذا وكذا ... وعلى كل حال سـوّي الأمر ... مطـلوب منك أن تراجعـه الآن .. وشـكـرت السيد الصـدر على اهتمامه بموضوعي ...

التعبير الوطني

قد يعسر على القارىء ، على مرّ السنين ، أن يحدد بدقة الظروف التي ظلت قرابة الثـلاثين عاما لا تستخـلص من الجواهري إلّا السخط والنقمـة ، واستنفار الجماهير والانقضاض ـــ هذا الانقضاض الذي سيتم أخيرا في ثورة « ١٤ » تموز (يوليو) كما أراد الشاعر بالضبط ـــ . ولكن الذي لا ريب فيه أن قارىء الجواهري بعد قرن من الزمان مثلا ، سيخرج من ديوانه بصورة رهيبة لتاريخ العراق بعد استقلاله وتخلصه من الانتداب البريطاني ، وصراعه مع ما تبقى من النفوذ البريطاني العميق . وليس همنا الآن أن نقرر مدى الدقة في مثل هذه الصورة الشعرية ، إنما المهم أن نرى مدى تفاعل شعر الجواهري

في الأحداث والتقلبات ، والرفع والخفض ، التي كانت من نصيب العراق وهو يحاول تعيين أبعاد شخصيته الجديدة في العالم الذي سبق الحرب العالمية الثانية ، وتلاها . وقد وصف الأستاذ الجواهري حياة بغداد بعد استقلال العراق ، إذْ قال متحدثنا بعفوية :

« حياة بغداد كانت حياة صاخبة حينئذ . كان هنالك شعور عام ، عارم وعنيف . ربما كان هذا الشعور موجها أيضا ، إنما بدون تنظيم ...أعني موجها بالفطرة . كان يختلط الحابل بالنابل ، والكلمة القوية بالكلمة الضعيفة ،والموجة الرصينة بالموجة الهوجاء . لكن هذا كله كان ــ يجمعه شعور وطني عام . قد استغله ، مع الأسف الشديد ، كثير من السيئين ، من الساسة الأشرار ، من الانتهازيين الذين كانوا أشبه بمطية لمن يمتطي ... هذه صورة من الصور . أما دوري فيها فكان دور المشتركين الآخرين ، ممن يملكون موهبة أو قابلية للتعبير الوطني » .

صورة عن المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري

أقيم هذا المهرجان بمناسبة مرور ألف عام على ولادة أبي العلاء المعري ، وقد ألف المجمع لجنة لهذا الغرض ، واشترك في المهرجان وفود أدبية وعلمية من مختلف البلاد العربية .

وبدأ المهرجان في يوم « ٢٥ » أيلول (سبتمبر) عام « ١٩٤٤ » في دمشق وانتهى يوم الأول من تشرين الأول (اكتوبر) عام « ١٩٤٤ » ، وتنقل من دمشق إلى المعرة فحلب فاللاذقية ، ثم عاد في اليوم الأخير إلى دمشق ، وشارك في المهرجان صفوة من العلماء والأدباء والمستشرقين من جميع الأقطار .

يقول الشاعر الكبير ما لفظه

« .... وكان دوري يأتي في جلسة الافتتاح ، فالسيد خليل مردم رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق ، والمسؤول الأول عن المهرجان هو من افتتح الجلسة ، ملقياً بالنيابة ، كلمة رئيس الجمهورية السيد شكري القوتلي ، فالدكتور طه حسين وأنا من بعده .

وبينما كنت ألقي القصيـدة كانت يدي اليمنى تمتـد ، عفـو الخاطر ، إلى الكتف اليسرى للدكتور طه حسين الذي كان بجانبي وهذا الرجل ليس (المعري) ، لكنه كان الوحيد ممن يجمع ما بين فكره وملامحه شيئاً غير قليل من خصائصه وبما يتلاءم مع المرحلة التي نعيشها فضلاً عن أنه كان في الطليعة من المعنيين به تناولا وجمعاً وأطروحة . بعدي جاءت الكلمة الغالية والثمينة للأستاذ أحمد أمين ، وفيما بين هذا وذاك وجدت بدوي الجبل ينهض من مكانه ويطلب من السيد مردم أن يسمح له بإلقاء قصيدته التي لم تكن مدرجة في منهج جلسة الافتتاح وكان ردّ خليل مردم :

ـــ إنك من اللاذقية ... وقصيدتك ستكون فيها وليس هنا

وإزاء إصراره على الالقاء أجابه خليل مردم :

ـــ تفضل ألق ... شرط أن تأتينا بجديد في الجلسة القادمة وفي مدينتك اللاذقية .

وألقى بدوي الجبل قصيدته الحائية :

يـا ظـالمَ التفـاح في وجنـاتِهـا لو ذُقْتَ بعـضَ شمـائـل التفـاح

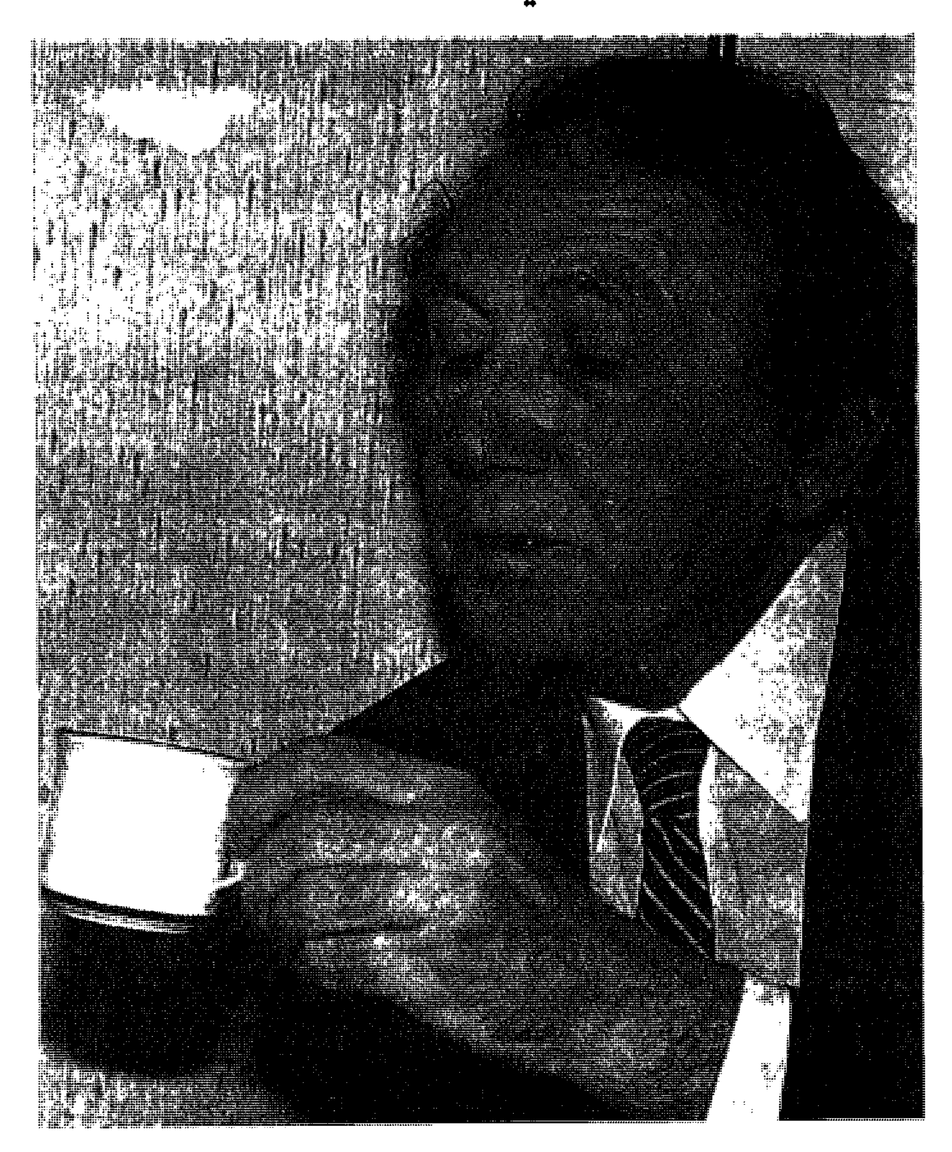
استمر المهرجان أسبوعاً كاملاً بما في ذلك من الرحلات . وبعد انتهائه أقام الدكتور طه حسين حفلاً فخماً على حساب الوفد المصري الذي معه ، وحين كنا نحن الوفد العراقي ، حتى بدون مصروف جيب ، كان الدكتور طه حسـين يقدم صكاً بخمسة آلاف جنيه ـــ وللجنيه الواحد حينئذ مكانته ـــ تبرعاً بإسم الحكومة المصرية ، لتعمير قبر (المعري) وبأكثر من ذلك بكثير ، فلطباعة آثاره ما نشر منها وما لم ينشر ، وهي كثيرة ، وقد أهداني بعد مدة من الزمن نسخة من كل واحدة منها .



لقـاء القمـة ... بين عمـلاقي الكـلاسيكيـة المعـاصرة : بدوي الجبـل ومحمد مهدي الجواهري .

ــ الصورة ملتقطة في منزل بدوي الجبل الواقع في شارع « أبو رمانة » بدمشق ــ .

نزار قباني ـ حالة نرجسية



يحدد الدكتور خريستو نجم سمات الشخصية النرجسية بالنقاط التالية :

النرجسية تعني أولاً إنحرافاً وشذوذاً . والنرجسي هو الذي يحب نفسه ولكنه أيضاً هو الذي لا يعرف كيف يحب نفسه ، أو هو الذي لا يحب نفسه على الإطلاق . كما أن الحب الصحيح لا يعرفه النرجسي ، وإذا عرفه فإنه لا يستطيع الحفاظ عليه ورعايته أمام تقلبات الزمن ، فيأبى النرجسي التعامل مع المرأة إلّا من خلال ثنائية العبد والمولى فهو السيد وهي الجارية .

وبصورة عامة فإن النرجسية حالة نفسية من نتائجها توثين الذات وتقديسها وعبادتها وإلغاء وجود الآخرين واستبدادية الاتجاه .

والذي يقرأ شعر نزار يجد فيه أن الشاعر يتغنى بنبرة صوته ، وروعة جبهته ، ورشاقة أصابعه ، وأناقة ثغره ، وبجماله وبشهرته ... وجاذبيته السحرية عند النساء ... وبعبارة ثانية فإن شعره مرآة تنعكس فيها صورة الشاعر الجسمية فضلاً عن صورته النفسية ، وشعوره بالعظمة والتفوق على أبناء الكوكب الأرضي ، وسعيه المستمر وراء الشهرة و« النجومية » ونزواته العدوانية ضد الذات العربية وشتمه العرب كشعب وتاريخ :

لاتسافر بجواز عربي

لا تسافر مرة أخرى لأوروبا

فأوربا كما تعلم ضاقت بجميع السفهاء

لا تسافر بجواز عربي بين أحياء العرب

فهم من أجل قرش يقتلونك

وهم حين يجوعون مساء يقتلونك

لاتكن ضيفاً على حاتم طي

فهو كذّاب ونصاب

يلاحظ أن نزار قباني ــ في السنوات الأخيرة ــ يعمد إلى الأسلوب الشائع لدى المفلسين والمتقاعدين ، فيأخذ باستعراض تراثه الذي بناه خلال مسيرته الشعرية ... إنه يمر بنفسية النرجسي في طور الكهولة ، وهذا الطور شديد الوطأة على نزار لأنه يهدد عظمة (الدون جوان) الذي يحيا في أعماقه (الدون جوان) يحتاج في كهولته السعيدة إلى طبل وزمر وقرد ... ومقابلات صحفية وتلفزيونية وإذاعية ، وإلّا انتهى دوره على المسرح واسدل عليه ستار الصمت ودفن بغبار الأعوام ... فإذا أعيته بطولات الأفعال فيعمد إلى بطولات وهمية لشاعر لم يعد قادراً على الهجوم والمراوغة ، لاسيا ، إذا عرفنا أنه ليس سهلاً إقناع النرجسي أن عليه الانسحاب الفوري من منصة المسرح ، دون إثارة ضجة أو اختلاق مشاجرة حامية الوطيس مع النقّاد والشعراء والجمهور .

مأساة نزار أنه يريد أن يكون شاعراً إلى الأبد ، بل وفتى الشعر الأول ، أليس هو القائل :

ــ « أدونيس ليست له علاقة بالشعر منذ أن راح يشتغل بالكيمياء أي بالتنظير الأدبي » .

ــ « عبد الوهاب البياتي هو حكواتي الشعر العربي ، والواشي الكبير ، والمرأة المطلقة وابن آوى الذي يهاجم في الليل أعشاش الشعراء ويسرق بيضهم ويخنق فراخهم . توقف عن كتابة الشعر وقراءته منذ عشرين عاماً ، وأصبح عانساً وعاقراًأو تفرغ ليشوي زملاءه الشعراء على نار نفسه المريضة . لو كنت مسؤولاً لحاكمته بتهمة رمي الزبالة في الحدائق العامة » .

غير أن كل هذه التصريحات الصحفية التي أطلقها في السنوات الأخيرة لم تنفعه ... وفيا يلي بعض تصريحات الشاعر المنشورة في إحدى المجلات العربية القادمة إلينا من

باريس ، التي يعتقد نزار قباني أنها ستجعله من أبطال الإغريق ، وتزيد من شهرته عند الناس ، وتعيد إليه « نجوميته » التي أصبحت باهتة وشاحبة .

يقول نزار قباني :

وصلتني رسالة من مواطن سوداني يطلب مني أن أسمح له بأن يسمي مولوده القادم باسم نزار وطبعاً يوافق الشاعر ... ويضيف نزار : كنت أزور منطقة جنوبية في السودان لا يوجد فيها شيء غير السوق الزراعية ، تجولت هناك وإذا بي أرى فجأة ومن بعدي هرماً هائلاً من النار . اقتربنا وإذا بولد في الرابعة عشرة من عمره يخرج من وراء الكوم الأحمر ويقول لي مرحباً نزار ؟ فقال المرافق : كيف عرفت الأستاذ نزار ؟ غضب الولد عند سماعه هذا الأخير وأجابه : أنا أتحداك وأتحدى معك الأستاذ نزار إذا عرفتم نزار أكثر مما أعرفه فأنا لم أحفظ شعره فقط بل وحوراته الصحفية غيباً

ويقول نزار إنه قد باع من كتبه أكثر من عشرة ملايين نسخة عدا الطبعات المزورة وأنه شاهد طفلاً يشتري مختارات من شعره ، فسأله نزار : عمو هل تحب شعري ؟ أجابه طبعاً فسأله من جديد : ولماذا تحبه ؟ فقال : لأن شعرك يشبهني

وأنه تنكر مرة في ثياب امرأة ، ليتمكن من الخروج بسلام من بين الجماهير التي جاءت للاستماع إلى شعره في وهران ويضيف نزار : أن أجمل ما هزني في بيروت أن سيارات الأجرة تضع شرائط تسجيل لشعري (كاسيت) بدل الأغنيات .

وهكذا نجد أن نزاراً قد طبع على حب الاستعراض المسرحي ، ولا يروقه إلّا الحديث عن خصائله وعبقريته وأمجاده ، فهو يعتبر نفسه النجم السينمائي والشاعر في آن واحد ... ومن حق الجمهور أن يعرف كل شيء عن نجمه المحبوب : اسم برجه الفلكي ، ولونه المفضل، والموسيقى المحببة إلى قلبه، والمطرب الذي يعجبه، وأسماء المطاعم التي كان يتردد عليها لتعلم الأجيال القادمة أن الشاعر جلس هنا ... ومرَّ من هناك ... فهوايات النجم وعاداته وطقوسه هي ملك للجمهور ومن حقه الاطلاع عليها ، فلا

غرابة أن يعمل نزار على إبقاء اسمه مزروعاً في ذاكرة الناس بكل الوسائل التي تتاح له ، نذكر منها على سبيل المثال :

نشر صوره العائلية والشخصية في العديد من كتبه ، أو كتابة إحدى مجموعاته الشعرية بخط يده ، أو عن طريق رواية حادثه قديمة من ذكرياته ، حتى ولو كانت هذه الحادثة ذات خصوصية عائلية ....

يقول نزار قباني :

« أنا من أسرة تمتهن العشق . والحب يولد مع أطفال الأسرة كما يولد السُكَّرُ في التفاحة .

في الحادية عشرة من عمرنا نصبح عاشقين ، وفي الثانية عشرة نسأم ... وفي الثالثة عشرة نعشق من جديد ... وفي الرابعة عشرة نسأم من جديد . وفي الخامسة عشرة من العمر يصبح الطفل في أسرتنا شيخاً ... وصاحب طريقة في العشق ...

جدي كان هكذا ... وأبي كان هكذا ... وإخوتي كلهم يسقطون في أول عينين كبيرتين يرونهما . يسقطون بسهولة ... ويخرجون من الماء بسهولة ... كل أفراد الأسرة يُحبون حتى الذبح ... وفي تاريخ الأسرة حادثة استشهاد مثيرة سببها العشق ...

الشهيدة هي أختي الكبرى وصال . قتلت نفسها بكل بساطة وبشاعرية منقطعة النظير ... لأنها لم تستطع أن تتزوج من حبيبها ...

صورة أختي وهي تموتُ من أجل الحبّ ... محفورة في لحمي . لا أزال أذكر وجهها الملائكي ، وقسماتها النورانية ، وابتسامتها الجميلة وهي تموت ...

كانت في ميتتها أجملَ من رابعة العدوية ... وأروع من كليوبترا المصرية ..

حين مشيتُ في جنازة أختي ... وأنا في الخامسة عشرة ، كان الحبّ يمشي إلى جانبي في الجنازة ، ويشدّ على ذراعي ويبكي ... وحين زرعوا أختي في التراب ... وعدنا في اليوم التالي لنزورها ، لم نجد القبر ... وإنما وجدنا في مكانه وردة ... » .

ويلجأ نزار قباني في بعض تصرفاته إلى سلوك طريق الفضيحة والإثارة .. لأن هذا السلوك يزيد من شهرته عند الناس . من ذلك ما حدث عام « ١٩٧٢ » إثر أمسية شعرية له في طرابلس الشام . كان الشاعر خارجاً من القاعة والناس يتدفقون حوله كالسيل ، يريدون الوصول إليه والتسليم عليه ، حين برزت فجأة إحدى الصبايا وكشفت عن ساقها أمام الجماهير وطلبت من الشاعر أن يوقّع باسمه . ولم يرفض الشاعر هذا الطلب الغريب ، بل أبدى تجاوباً ملحوظاً في التوقيع . والذين شاهدوا أحداث هذه الرواية من أهل المدينة استهجنوا فعل الشاعر وانتقدوه .

ولا يبقى أمام نزار قباني في هذه المرحلة من حياته ، بعد أن انحدرت شمسه نحو المغيب ، وهذه هي طبيعة الحياة وسنة الكون ، إلّا أن يكون واعظاً وحكيماً كزهير بن أبي سلمى ، أمام جمهور شعره ، لأنه لم يعد قادراً على جذب انتباه الجمهور وسرقة الأضواء الباهرة ، إلّا عن طريق المقابلات الصحفية والتلفزيونية وتضخيم دوره في الماضي والحاضر .

وصفوة الكلام ــ على حد تعبير الدكتور نجم ــ أن نزاراً كان واعياً (لأناه) الجسمي ، مدركاً لوسامته ، محتفلاً بملامحه ، يعرف جيّداً حسن وقعها في الناس . فاستثمر هذا الشعور في نتاجه متتبعاً قسماته وحركاته وأناقته وكل ما يتعلق بمظهره أمام المعجبين ، في أماسيه الشعرية ومقابلاته التلفزيونية وصوره الفوتوغرافية المنشورة في الصحف والمجلات ...

فأعمال صاحبنا مرتبطة إذن (بأناه) الجسمي قبل كل شيء . غايتها استعراض نزار قباني الفتى الوسيم الذي يطمح لتخليد رسمه بين الناس . وهو رسم لشاعر بلغ به الحرص على وسامته حدّ الهوس فأصبح متشبثاً بالحب لأنه مرآة تجمّل ملامحه في عين نفسه وعيون الناس .



لا مرفأٌ يقبلُنا

لا حانةٌ تقبلُنا

لا امرأةٌ تقبلُنا

كلُّ الجوازاتِ التي نحملُها

أصدرَها الشيطانْ

كلُّ الكتاباتِ التي نكتبُها

لا تعجبُ السلطانْ

مسافرونَ خارجَ الزمانِ والمكانْ

مسافرونَ ضيّعوا نقودَهُمْ، وضيّعوا متاعَهُمْ،

وضيّعوا أبناءَهُمْ، وضيّعوا أسماءَهُمْ، وضيّعوا انتماءَهُمْ

وضيّعوا الإحساسَ بالإمانْ

فلا بنو هاشمَ يعرفوننا، ولا بنو قحطانْ

ولا بنو ربيعةٍ.. ولا بنو شيبانْ

ولا بنو (لينينَ) يعرفوننا.. ولا بنو (ريغانْ)

يا وطني: كلُّ العصافيرِ لها منازلُ

إلّا العصافيرَ التي تحترفُ الحريّهْ

فهي تموتُ خارجَ الأوطانْ

نوفمبر ١٩٨٥

نزار قباني

مقطع من قصيدة ... بخط الشاعر نزار قباني

عمر أبو ريشة ـ وأغرب الحكايات والمشاهدات



المؤلف مع الشاعر السوري الكبير عمر أبو ريشة

الشاعر المبدع عمر أبو ريشة ، ولد في الشرق العربي عام (١٩١٠) ، وهو يملك ثقافة تراثية رفيعة ... بالإضافة إلى ثقافة عالمية معاصرة ، لأنه يتقن الحديث والكتابة بست لغات ...

عمل في وزارة الخارجية كسفير لسورية في البرازيل ، والأرجنتين ، والتشيلي ، والهند، والنمسا، والولايات المتحدة، لسنوات طويلة مما أتاح له الإطلاع على ثقافات هذه الشعوب والأمم ... من ذكريات هذه المرحلة يقول الأستاذ عمر :

ـ في البرزايل حيث مثلت بلادي وزيراً مفوضاً في العام (١٩٤٩) ، كان عليَّ أن أقدّم أوراق اعتمادي لرئيس الجمهورية الجنرال « دوترا » في مقره الصيفي في مدينة « بترو بوليس » ، ذهبت إلى هناك وتناولت طعام الغداء في الفندق الكبير ، وقد القيت بالملف حيث أوراق الاعتماد إلى جانبي ، غافلني النعاس لأستيقظ بعد دقائق وأرى صالة المطعم وقد انقلبت رأساً على عقب ، والمقاعد فوق الطاولات

وقد اختفى الملف ... قفزت من مكاني أبحث عنه هنا وهناك ... وقد اقترب الموعد ... لكن جهودي ذهبت سدى . خرجت من الفندق وأنا أتخيل الفضيحة التي ستنتشر في الأوساط الدبلوماسية انتشار النار بالهشيم . وفيما كنت أغادر الفندق سألني النادل قائلاً :

ـ ألم تفقد مغلفاً كنت قد وضعته بجانبك ؟

علمتني تلك الحادثة .. أننا نجني الوفاء والإحسان حيث نزرع الكرم والود . فقد كنت أجزيت العطاء لذلك الفتى ، فأخذ الملف حين شاهده بيد زميله واحتفظ به ، وسلمني إياه قبل موعد تقديم أوراق اعتمادي بدقائق ... فاتجهت نحو باب المقر الصيفي لرئيس الجمهورية ، وكان بجوار مطعم الفندق ، وأنا ألهث من الإعياء والإنفعال .

قمة شعرية شامخة

يرتبط الشعر العربي المعاصر ، ارتباطاً وثيقاً باسم عمر أبو ريشة ، الذي يمثل قمة شعرية شامخة ومتميزة وخالدة ، أوصلت الشعر العربي في النصف الأول من القرن العشرين ، مرحلة الترف الزاهي في شاعرية أصيلة وأناقة مطبوعة ، ورومانسية محلقة نابضة بالصورة الشعرية الموحية ، التي تصور خلجات النفس ورعشات القلب . فهو « مصور بارع يضفي على الفكرة ثوباً جميلاً من ألفاظ مختارة ذات أضواء وتلاوين ... » ـــ على حد تعبير الأستاذ الأديب سامي الكيالي ـــ .

وهذه الأحاسيس الصادقة ، والأنغام والصور الرشيقة الزاهية ، جعلت عشاق شعره يترنحون إعجاباً ونشوة ، كلما استعادوا أشعاره العذبة ، التي تعد بحق من بدائع الشعر الغنائي المعاصر ، حيث ترددها الشفاه الظامئة للآذان :

لنـــا الحبُّ والكـــأسُ والِمـزْهَـرُ ... وللنّـــاس منّـــا الصَّـــدى المسْـكِرُ
مشـينـا معـاً وجَنـاح الرِّضـــا ... يـــواكبـنـــا ظِـــلُّهُ الخَيِّـــرُ
وخـــلفَ مـــلاعبـنـــا أنجـــمٌ ... عـــلى شـــوق أوْبتِنـــا تسْـــهَـــرُ

أول قصيدة

يقول الأستاذ عمر أبو ريشة :

في مطلع العشرينات كنت طالباً في المدرسة الإنجيلية (الجامعة الأمريكية حالياً) ، وقد أعطيت أستاذ اللغة العربية قصيدة زعمت أنني نسختها من مخطوطة نادرة ، كتبها النابغة الذبياني بخط يده قصدّق الأستاذ كلامي بعدما قرأ ما معانيها وتفحص مفرداتها ، واحتفظت بها إدارة المدرسة كوثيقة نادرة ... وقد جاء في تلك القصيدة :

أعقـــل قـــلوصي ايهـذا الحـــادي ... أنـــا بـــربع بثـيـنـــة وسعـــاد
ربع عفتـــه الريخ في إعصـــارهـا ... إلّا بقـــايـــا النـــؤي والأوتـــاد
فـوقفت والمعـكـــاء ترزم حسـرة ... ولغـــامهـــا متتـــابع الأزبـــاد

ومن الطريف ... أن تلاميذ المدرسة حفظوا هذه الأبيات ، على أنها قصيدة مجهولة للنابغة الذبياني ، ولا تزال حتى هذا اليوم محفوظة في أرشيف الجامعة الأمريكية ، فكانت هذه القصيدة خطوتي الأولى في رحاب الشعر .

بعد حرب فلسطين ١٩٤٨ مهدت لإنقلاب حسني الزعيم

نكبة « ١٩٤٨ » وهي النكبة الأولى ، أو ما دعاه الغرب وبعض الشرق الحرب العربية الفلسطينية ، وما سمته الصهيونية وإسرائيل فيما بعد حرب الاستقلال ، جرح في قلب أبو ريشة وألم في وجدانه .. ما زال يرعف دماًوثورة وحقداً على كل من كان له في المأساة باع طال أم قصر .

حسرته على فلسطين ، وإن يكن زمن الحسرات قد ولى إلى غير رجعة ، تداني في المرارة والحرقة ، الحسرة التي رافقت رحيل والده ...

يقول الأستاذ عمر أبو ريشة :

دعيت بعد النكبة الأولى إلى مهرجان شعري ــ في حلب ــ قيل لي بادئ الأمر أن ريعه سيرصد لعائلات شهداء فلسطين . وهنا يطيب لي التنويه بما قد يغيب عن الكثيرين . لقد قدّم الجيش العربي السوري في تلك المعارك قرابين غالية . إذْ ثبت بما لايدع مجالاً لأي جدال أن عدد الضباط السوريين الذين استشهدوا في المعارك فاق عدد الجنود . ظاهرة نادرة في تاريخ الجيوش الصغيرة والكبيرة على حد سواء . وإن دلت فعلى عمق إيماننا بقضية اعتبرناها فضلاً عن قدسيتها ، تنازع بقاء بيننا وبين الصهيونية العالمية الفاغرة الفاه لابتلاع التراب العربي ، مبتدئة بقدس أقداس الإسلام والمسيحية ...

قيل إن تلك الحفلة أقيمت لصالح عائلات الشهداء ، فقصدت إليها برفقة زوجتي . فاتني أن الجو كان مشحوناً ضدي بالكراهية واللؤم . فوجئت وأنا في طريقي إلى المكان بصوت ينطلق من المذياع مدعياً أنني اعتذرت عن المجيء بحجة صداع في راسي ، ثم يضيف قوله : نحن كفيلون بشفاء رأسه كما فوجئت باثنين من الغوغاء يقطعون عليّ

الطريق ويهدداني بوابل من وخيم العواقب إن أنا لم أعد أدراجي ، ويقولان بلهجة سوقية بذيئة « اطلع ولك »

عزمت ـــ والكـلام للأستـاذ عمر ـــ على تحدي من نظموا لي هذا الاستقبـال فاتجهت من توي إلى المنصة .

كنت على بعد خطوات منها حين تقدم مني شاب وقال : حافظ على حياتك ولا تعتلي الخشبة . لكنني أزحته من طريقي وقفزت إلى فوق . كانت الجماهير المحتشدة وفي طليعتهـا رئيس الدولة والحكومة بكـامل أعضـائها في غليان وكأنها البركان . استرعى انتباهي من بعيد وجود حسني الزعيم وأديب الشيشكلي وكان كل منهما يجلس إلى طاولة منفردة .

أدركت أن عليّ امتـلاك ناصية الجمهور الثائر المنفعل قبل الاسـترسـال في إلقاء قصيدتي . فانطلقت أحلل أسباب النكبة تحليلاً منطقياً واعياً ، أدعو الأشياء والقادة بأسمائهم . فأخذ الصمت والهدوء يعودان ببطء . ولم تكد تمضي برهة وجيزة حتى امتشق الشاب الذي هددني باديء الأمر بالمذياع صائحاً : اصغوا إلى صوت الحق ، حاسبوا الخونة . وسمعت الجنود يصيحون من حولي : عليهم لا تخاف . فيما تسلقت السيدات ومنهم زوجتي المنصة من حولي وأخذن يبكين ويلوحن بالمناديل . وحين تم لي السيطرة على المحتشدين في القاعة ، وتأكد للمضللين ولمن تعمدوا تضليلهم أنني لن أركع ، بدأت في إلقاء قصيدتي ... تلك القصيدة التي جعلت الحكومة تعود مخفورة من حلب إلى دمشق . قسوت كثيراً وتناولت بالنقد المرير أسماء كبيرة . لكنني الآن وبعد إنقضـاء سنوات طويلة أرى من الأفضـل أن أتجاوز اليوم بعض ما أوردته من أبياتها في ذلك الأمس :

أمـتي هـل لك بـين الأمم	منـبر لـلسـيف أو لـلقـلم
أمـتي كم غصـة داميـة	خنـقت نجوى عـلاك في فمـي
أي جـرح في إبـائي راعف	فـاتـه الأسـى فـلم يـلتـئم

لا يــــلام الــذئب في عــدوانـــه إن يك الــراعي عــدو الغـــنم

فـاحبســي الشـكـوى فلولاك لما كان في الحكـــم عبيـد الدرهـم

قصيدة عمر هذه ذهبت مثلاً بين الأمثال . فتناقلتها الأوساط السياسية والشعبية والطلابية حتى غدت صرخة في كل فم .

لا يــــلام الــذئب في عــدوانـــه إن يك الــراعي عــدو الغـــنم

أغرب ذكرى

ويأتي عمر أبو ريشة في شرود الرّحالة إلى أغرب ذكرى ، يقول :

تعرفت في البرازيل إلى رجل لبناني يدعى خضر الصفح وكان في الثمانين من عمره ومتمتعاً بقسط وافر من الرقة واللطف والصحة والجمال . حدثني في يوم ماطر وبكل إسهاب ، عن كيفيـة هربه من الجندية في العهد العثماني مع صديق له يدعى محمود العويني ، منتقـلين من باخرة شحن إلى باخرة شحن بصفة خادمين حتى وصـلا إلى البرازيل ، ولكنهما كانا يعتقدان أن السلطان العثماني قادر على استردادهما ليفتك بهما ، فذهبا إلى غابات الأمازون . وهناك أخذا يعملان في إحدى الشركات المختصة بصنع المطّاط . وفي يوم من الأيام وبينا كانا ينقلان البضائع في أحد القوارب الصغيرة على نهر الأمازون ، داهمتهمـا عاصفـة هوجاء أغرقت القـارب وما فيـه . وصحا بعدها خضر الصفح وهو ملقى على الشاطئ بعد عراك طويل مع الموج ، أما محمود العويني فلم يعرف له أي أثر .

غير أن خضر الصفح بقي ما يقرب من الأسبوعين يسير في الغابات ولاقوت له إلا أشتات الفواكه البرية وما أكثرها وأشهاها في البرازيل . وفي إحدى الليالي رأى خضر الصفح ناراً على البعد ، وأضواء متناثرة فسار نحوها حت وجد نفسه حيث كان يعمل . وشاء القدر أن يموت صاحب المعمل وأن تتزوج ابنته من خضر الصفح التي كانت تحبه حباً جماً .

وبعد مرور عشرين عاماً على هذا الحدث كان خضر الصفح على ظهر يخته يتجول في الأمازون ، وإذا بثلاثة رجال من قبيلة « الشافانتس » يقفون على الشاطئ بلباسهم التقليدي فما كان من خضر الصفح إلّا أن حمل البندقية ، استعداداً لكل مفاجأة وإذا بصوت عال يصيح بالعربية « لا تقوص » يا خضر أنا أخوك محمود . على أثر هذا النداء وثب خضر من اليخت وعانق صديق العمر الذي حدثه عن كيفية إلقاء القبض عليه وهو نائم تحت الشجرة ، وكيف اقتيد إلى ملك قبيلة « الشافانتس » أشرس وأقوى قبيلة محترمة في البرازيل ، وكيف أحبه وأكرمه ملك تلك القبيلة وكيف سمح له بأن يتزوج ابنته التي أنجبت له الشابين اللذين يرافقانه ، وكيف تم انتخابه ملكاً على تلك القبيلة بعد وفاة عمه الملك .

هذه القصة رويتها بالمصادفة إلى عبد الله المشنوق في اثناء زيارته إلى الأرجنتين مع الرئيس كميل شمعون منذ ثلاثين عاماً . واهتم الأستاذ المشنوق بهذه القصة فأوفد من اجتمع « بالملك » العويني ، وعلمت ، فيما بعد ، أن الملك اعتذر عن العودة إلى لبنان ، أنه محب لمملكته وفيّ لزوجته ، وفخور بأبنائه .

... ما شاهدته

ويضيف الأستاذ عمر أبو ريشة :

أغرب ما شاهدته في معبد (كاجراو) في الهند . وفي هذا المعبد المدهش مجموعة كبيرة من التماثيل المنحوتة بعناية فائقة ، حتى كأنها تريد أن تنطق ، وهي تهدف إلى تصوير تسامي وعظمة الإنسان وتدنيه عبر غرائزه الطبيعية والشاذة ... وفي أحد الأيام شاهدت امرأة أمريكية هرمة تقول بصوت عالٍ : « أقذر من هذه المناظر والتماثيل صانعوها » . طبعاً تضايقت من قولها الجارح المؤذي ...

وفي اليوم التالي شاهدتها تتفحص تلك المناظر والتماثيل بشغف ، وفي يدها « منظار كبير » ، فكتب قصيدة وهذه بعض أبياتها :

كم دميـــة ، ذلّ الــرخـــام على انتفـــاضـتهـــا وهـــان

طــلبت فــأعطى واشــرأبت فـــانحـــنى وقست فـــلان

كاجراو .. هــل من حـرمـة لك عنـــد رأيهـــا تصـــان

كم زائـــر أدمى فـــؤادك مـــا أســـر ومـــا أبـــان

أخفى الرضـــا ، وتظـــاهرت بـالسخـط عينـــاه الـلتـــان

تتحـــريـــان وتنهـــلان وتســكـــران وتحلمـــان



عمر أبو ريشة ... في ثياب المهراجا



الشاعر يداعب أحد القرود

صدقي إسماعيل ـ وتراثه الإبداعي الخالد



صدقي اسماعيل
في انطاكية في العام ١٩٣٧



الطالب صدقي اسماعيل
المقدم الى سهاده البكالوريا ١٩٤٣



■ مع السيده انديرا غاندي في العام ١٩٦٥ ■

يمثل المفكر العربي صدقي إسماعيل (١٩٢٤ ــ ١٩٧٢) ، حالة خاصة ونادرة في الأدب العربي المعاصر . ويبدو من أعماله الكاملة التي تركها لنا ، أنه نظم الشعر في البدايات ، وكتب الرواية السياسية ، والمسرحية التاريخية ، والقصة القصيرة ، والمقالة الأدبية ، والدراسة النقدية ، والخاطرة الإذاعية .

جريدة الكلب

وأصدر جريدة (الكلب) ، في أوائل الخمسينات وبفترات غير منتظمة . وهي نسخة واحدة يكتبها صدقي إسماعيل بخط يده ، ويرسم عنوانها ، وينظم كل ما فيها شعراً ساخراً عميقاً لاذعاً ، يستعرض فيه كل ما يخطر على باله من أحوال شخصية ، وقومية ، وسياسية ، وفنية ــ على حد تعبير الأستاذ الأديب سليمان العيسى .

ويتداول أصدقاء الشاعر النسخة المخطوطة في دمشق ، وحلب ، واللاذقية وغيرها من المدن السورية ، وربما انتقلت النسخة إلى الأقطار العربية الشقيقة ، وتداولها الرفاق من بلد إلى بلد ...

ولا يدري أحد اين كانت تستقر معظم هذه الأعداد المخطوطة التي قلّما ضربت على الآلة الكاتبة ... ولذلك ما يزال الكثير منها مفقوداً مع الأسف .

لم يكن لصدور (الكلب) أي موعد محدَّد . يبدأ صدقي العدد عندما يخطر على باله أن يتناول الأحداث والأوضاع العام بسخريته الفريدة ...

أما الشعر الساخر الذي اختصت به جريدة (الكلب) لم يكن في الواقع إلّا امتداد للقصائد « الحلمنتشية » التي أُخذت من مجلة أسبوعية مصرية كانت تصدر في الأربعينات :

الكلب

جريدةٌ نكتبها بالشعر

تصدرُ في الأسبوع أو في الشهر

تعالجُ الأمور باتزان

وتخدمُ الجميع بالمجَّان

نخطُّها في البيت أو في المقهى

في نسخة وحيدة فاقرأها

واحرص على أعدادها المخطوطة

فالشام لا تسْوى بدون الغوطة

الصورة الكاريكاتورية

أنا من ترون اسْمَه ها هنا ... ولي ذنبٌ طوله بوصتان

لكثرة ما قد نبحث انحنى ... وأصبح في مثل نعل الحصان

فلا تعجبوا كلُّ ما عندنا ... قد اعْوَجَّ حتى أخونا فلان

زاوية التوجيه

أوصيك يا «ابْنَ الكلب» أن تَصْبرا

فالتّين قبلَ الصيف لن يُثْمرا

هل تشتري الصَّبّاط من قبل أن

ترى الذي في قدميك اهْترا

متى تجد آنسةً أصبحت

أحْلى تجدْ فُستانها أقصرا

مَنْ كانَ لا يُعرَفُ من وجهه

هيهاتَ أن تَعْرِفَهُ من ورا

طلب انتساب

منصور الرحباني تقدم بطلب انتساب إلى أسرة « الكلب » :

تقدَّمَ منصورٌ يُريد انتِسابَهُ

إلى « الكلب » عُضواً في جريدتنا الغرّا

ونفحصُ صوت العُضْوِ قبل دخولِه

فإنْ لم يكُن حلوَ النُّباحَ بقيَّ برّا

حوادث المدينة :

سرقة

لِصَّان من أهل السوابق هاجما البنك الصناعي

حملا الخزانةَ وهي فارغةٌ وليس لذاك داعي

حادث سيارة

وسيارةٌ طحَشَتْ مخزناً يبيعُ الكنادِرَ للسيداتْ

وما كانَ سائقُها غيرَ بنتٍ مهذبةٍ من بنات الذّواتْ

وقد سُئِلتْ : كيفَ كان الصّدامُ فقالت : هوايتي الواجهات

محاولة انتحار

شخص أرادَ الانتحارَ على طريق الصالحية[1]

ورآه شرطيٌّ فأوصلَه إلى بابِ التكيّة[2]

---

(١) شارع مشهور في دمشق .

(٢) التكية : هنا مكان التنابل والذين لا عمل لهم .

التعريف بثقافات الشعوب

وقام أيضاً الأستاذ صدقي إسماعيل بتسليط الضياء على ثقافات الشعوب لأنه كان يؤمن « بأن ما من شعب يستطيع الاستغناء عن ثقافات الشعوب الأخرى ، وبمقدار ما ينمو وعيه وتتسع آفاق تفكيره ، يتطلع إلى الينابيع الجديدة . فالشعوب الأوروبية اليوم ، وهي في مرحلة راقية من الازدهار الثقافي ، تترجم أكثر مما تؤلف . وقد عرف العرب بصورة خاصة عندما كانوا في أوج حضارتهم بنزعة مدهشة إلى ترجمة الثقافات الأخرى ونقلها والتاثر بها . وقد اتسعت الثقافة العربية لكثير من المؤلفين الأجانب ، جعلوا العبارة العربية وسيلة لنقل أفكارهم وثقافات شعوبهم في الأزمات السالفة . ومن مظاهر الثقافة والنهضة أن يقبل العرب اليوم على كل ثقافة أجنبية . غير أن ذلك لا يعني أن تكون هذه الثقافات كمحاصيل الموسم ، تأتي بها الرياح في أحد الفصول ثم تسلمها إلى الجفاف عند إنتهاء الفصل . إن بقاء هذه الثقافات في بلادنا واستمرار تاثرنا بها ، يرتبطان بمقدار ما نطلب نحن وما نحتاج إليه . فما تطلبه التربية هو الذي يبقى منها ويتحول إلى غذاء دائم ... » .

وهذا الراي الناضج يفسر لنا ما كتبه صدقي إسماعيل عن شكسبير ، ورامبو ، وفان كوخ ، والشاكر أبولنير ، والروائي الانكليزي جراهام جرين ، وغوغول ، وغيرهم ...

وكان أديبنا الراحل هاجسه الدائم أن يصل أدبه إلى أبناء الشعب كافة ، لأنه يحيا في عصر الجماهير الشعبية ، لذلك كان يتوجه بكتاباته إلى أكبر شريحة في المجتمع ، مع مراعاة رشاقة اللغة ، والابتعاد عن الغموض والحذلقة اللفظية ...

تعميق الوعي القومي

لقد دعا صدقي إسماعيل في أعماله الكاملة ، إلى تعميق الوعي القومي في حياتنا العربية . واستلهام القيم الخالدة في التراث العربي المضيء ، فكان يعيد للأذهان مواقف : الخنساء ، وعنترة ، وطرفة ، والمتنبي ، واستطاع أيضاً أن يضم الإنسانية إلى القومية العربية ، لئلا تتهم قوميتنا بالتعصب الأعمى والشوفينية .

محطات من حياة صبدقي إسماعيل

ـــ ولد عام « ١٩٢٤ » في حيّ العفان ، بمدينة أنطاكية ، مركز لواء الاسكندرونة السليب .

ـــ شارك مع زملائه الطلّاب في الحركة النضالية التي كان يشرف عليها المفكر العربي الأستاذ زكي الأرسوزي .

ـــ غادر اللواء عام « ١٩٣٧ » ، بعد دخول الجيش التركي ، وأكمل دراسته الثانوية في مدارس حماه ودمشق وحلب .

ـــ بعد حصوله على شهادة الدراسة الثانوية عام « ١٩٤٣ » ثم على أهلية التعليم الابتدائي ، عمل معلماً في مدارس دمشق حتى عام « ١٩٤٨ » .

ـــ انتسب إلى قسم الفلسفة في جامعة دمشق ، وحاز على الاجازة العامة عام « ١٩٥٢ » بتفوق ، وعمل مدرساً للفلسفة .

ـــ كان من الروّاد الذين شاركوا في حركة (البعث العربي) التي تحولت إلى حزب البعث العربي الاشتراكي ... بالإضافة إلى كونه من أعضاء المؤتمر التأسيسي للحزب .

ـــ في عام « ١٩٧١ » أصبح رئيساً لاتحاد الكتّاب العرب ، ومسؤولاً عن مجلة الموقف الأدبي ... وانتقل إلى جوار ربه وهو في ذروة تألقه ونشاطه الأدبي .

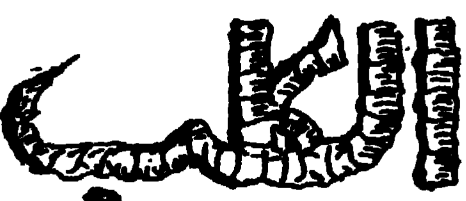
من مؤلفاته

● رواية (العصاة) ، وهي تروي سيرة أجيال ثلاثة من حياة أسرة حلبية إقطاعية محافظة ، ويعبر كل جيل عن مرحلة من مراحل انتقال سورية من الحكم الاستبدادي الحميدي إلى الانتداب فالاستقلال والسيادة الوطنية . فالعصيان هو سلبياً تفكك الأسرة التقليدية ... وإيجابياً تمرد العربي على ماضيه وانفتاحه على العالم المعاصر ومن ثم تبنيه متعثراً تقاليد هذا العالم وقيمه وبالنتيجة تبنيه مع الجيل الثالث الأفكار الثورية وما يلزم عنها ـــ على حد تعبير الأستاذ أنطون المقدسي .

- (أيام سلمون) ، قصة تاريخية في حوار مسرحي .
- (رامبو ـ قصة شاعر متشرد) .
- (العرب وتجربة المأساة) .
- (محمد علي القابسي ــ صفحة من نضال العرب الحديث) .

وتجدر الإشارة ... إلى أن المؤلفات الكاملة للأستاذ صدقي إسماعيل صدرت في ستة مجلدات في دمشق « ١٩٧٧ ــ ١٩٨٣) . بالإضافة إلى جمع أعداد جريدة (الكلب) في مجلد سابع يقع في « ٦٠٠ » صفحة من القطع الكبير .

وبصورة عامة ... فإن تراثه الإبداعي الخالد ، ما يزال ماثلاً في الذاكرة ، حفظاً وقراءة ومتابعة ، لكونه أسهم في تثقيف وتوعية أبناء الشعب في القرى والمدن ، بهدف أن يثوروا ضد رموز الاستغلال وعملاء الاستعمار .



العدد ١٠٦ ـ دمشق ـ تشرين الثاني ١٩٧١

كلمة العدد

الموقف السياسي

من انقطاع عن القراء .. مرجعهُ
شح الصحائف وما قد تقطعهُ
[illegible] .. حتى من الشهر الذي مضى
[illegible]
[illegible] في غضب
[illegible]
[illegible] .. وهو [illegible]
[illegible]
بالموسى [illegible] الحرب [illegible]
[illegible] .. [illegible]
[illegible] أجيال [illegible]
لنا [illegible] .. [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]

صورة العدد

هنا صورة الكلب بالملف
وبالبرد .. إذ [illegible]
له هيئة البرجوازي [illegible]
وبالعظم [illegible]
وحالي أيضاً بأعين القراء
إذا خاف .. داخله يختفي ..

السياسة الدولية

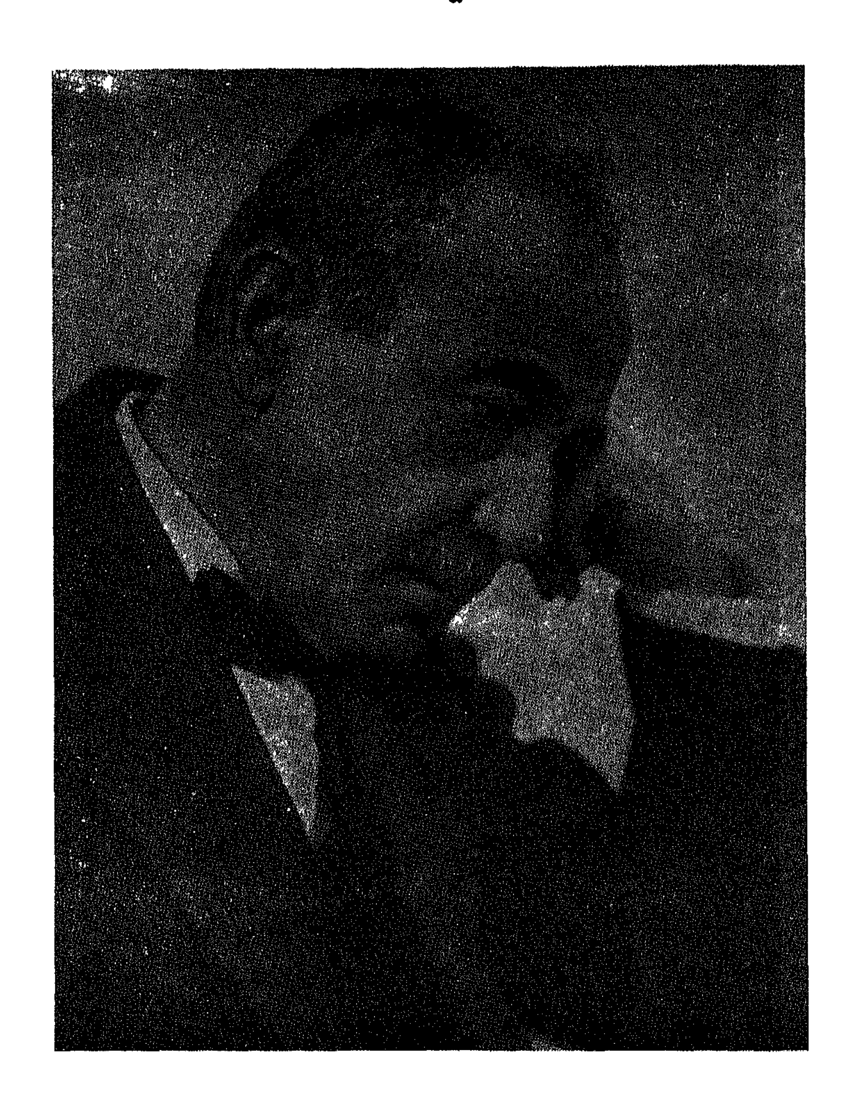
الصين في هيئة الأمم المتحدة

[illegible]
الصين قد [illegible] أخيراً
أمة بين الأمم ..
[illegible]
هنا [illegible] ..
[illegible]
من [illegible]
[illegible]
[illegible] ... أهم .
[illegible]
[illegible] ..
[illegible] التي [illegible]
[illegible] ...
في كل عام [illegible]
[illegible] .. [illegible] من العدم
[illegible]
[illegible]

(البقية على الصفحة ٦)

صفحة من جريدة «الكلب» بخط صدقي اسماعيل .

أحمد شوقي - أمير الشعراء



كانت هنـاك فوارق بين حيـاة أحمد شوقي (١٨٦٨ ـــ ١٩٣٢) وحياة حافظ إبراهيم ، وهي شـديدة الشبة بالفوارق بينِ جوته وشيللر . فقد كان جوته وشوقي من الأغنياء وكان شيللر وحافظ من الفقراء . ولكن آلهة العبقرية لا تعرف الغنى والفقر . وقد عرف عن شـوقي أنه كان يستحم بالكولونيا ، ولا يستحم بالماء على حين كان يحلو لحافظ أن يعيش حياة أبناء البلد ، فيرتدي الجلابية والمعطف في غالب الأحيان ، ولا يرتدي البذلة إلّا في المنـاسبـات ، وكان ينتقـل في القاهرة على عربات الترام بالدرجة الثـانيـة ، عندما كان أجر الركوب ستة مليمات . وقد روى هو بنفسـه ما حدث له عندما داس بقدمه على قدم أحد الركاب ، وكان ذلك في شهر آب (أغسطس) ، فقال له الراكـب :

ـــ حاسب إنت مش عارف أنا مين ؟

فرد عليه حافظ ضاحكاً :

ـــ عارف ... راكب في الترام بالدرجة الثانية في شهر آب تبقى مين ؟

وكانت لحافظ حوادث كثيرة تبين لنا طريقته في الحياة ، ومزاجه وهو مغاير لشوقي في كل شيء .

لم تكن لشوقي شلة من الأصدقاء ، لكنه كان يستقبل ضيوفه في قصره استقبالات شبه رسمية : في حفلات شـاي ، أو أمسيات كوكتيل ، أو عشاء ، كما كان يستقبل بعض الأدباء والصحفيين في مكتبه . أو يجلس مع بعض أصدقائه في المحال الراقية . وكان قليل الكلام سارحاً في ملكوت الله .

أما حافظ إبراهيم فقد كانت له أكثر من شلة ، ونكت رائعة رويت عنه ، ولكنها لم تسجل . وكان يشاركه في النكت والتنكيت الشيخ عبد العزيز البشري ومحمد البابلي . وكان ثلاثتهم في جيلهم فرسان الفكاهة ...

هـذا هو الجو الذي كان يعيش فيـه حـافظ إبراهيم ... جو المرح والفكـاهـة والنكتة ... على خلاف شوقي الذي كان يعيش حياة القصور ، وله نظام في حياته ، وصفه الدكتور زكي مبارك ، وكان قريباً منه فقال :

كان مدمناً على التدخين ، وكان يضع السيجارة في مبسم من الكهرمان ، وما رأيته بدون سيجارة ، وكان يشرب الشاي من وقت إلى وقت ، وكان مغرماً بأكل البيض . كان يأكله نيئاً عند نظم الشعر .

ولم يكن شوقي يستحم بالماء كما يستحم الناس ، وإنما يستحم بالكولونيا . وكانت خادمته هي زوجته وتقدر مواعيده الغالية . ولم يكن شوقي يفطر في البيت ، وإنما يمضي مع الشروق ، فيفطر في مطعم عام . وكان مفتوناً بشرب الويسكي ، ولم يكن يشربه إلّا بعد منتصف الليل في البيت . وكان من عادة شوقي أن يتناول عشاءه في مطعم من المطاعم الفاخرة في القاهرة .

أما حافظ إبراهيم فقد كان بوهيمياً منطلقاً . فلا بيت ولا زوجة ولا أولاد ولا علاقات عائلية وليس له نظام في حياته إلّا مع أصدقائه . وأشهرهم محمد البابلي ، ومحمد المويلحي ، وعبد العزيز البشري وصادق رستم ، وبيرم التونسي ، وعبد الله سليمان أباظة. والشيء الذي يسترعي النظر هو أن بيرم التونسي كان من شلة حافظ إبراهيم ، فإن أحداً من دارسي أدب بيرم لم يعرف هذه الحقيقـة . وقد عثر الأستـاذ الأديب عبد المنعم شميس ، على مقطوعة لحافظ لم تنشر ، يقول فيها عندما رثى عبد الله أباظة :

كنّ على عهـد الصبـا سبعـة	بمستـطـاب الـلهـو نستـأثـر
البـابـلي صـفـوة فتيـانـنـا	وابن المويـلحي الكـاتب الأشهر
وصـادق خـير بـني سيـد	وبـيرم إذ عـوده أخضر
وكان عبـد الله أنسـاً لنـا	وانس عبـد الله لا ينـكـر
فكـم لنـا في مجلس طيب	يشتـاقـه هـارون أو جعفـر
نـلعب بـالـلفظ كما نشتـهي	ونضـمـر المعـنى فمـا يظهر
ونـرسـل النـكتـة محبـوكة	من غيرنـا في الحسن لا تصدر

الدكاترة زكي مبارك يحمل أحمد شوقي

عندما كان شيطان الشعر يلعب بخيال أمير الشعراء أحمد شوقي لم يكن يرغب في صحبة أحد معه في جولاته الهائمة غير زكي مبارك

ذات صباح ، شرب شوقي فنجانه من الشاي في مكتبه بشارع جلال ، وقدّم لضيوفه بعض قطع (الكرواسان) التي كانت تعد بكميات وافرة ، وهي إحدى هوايات شوقي ، فيأكل واحدة ، ويقدم لضيوفه منها . وكان زكي مبارك على عادته يجالس أمير الشعراء الذي وقف فجأة ، وأخذ زكي مبارك في يده ، ثم خرج .

وسارت بهما السيارة إلى كوبري قصر النيل ، حيث نزلا منها ، ووقف شوقي عند سور الكوبري ، وبدأ يكتب على ظهر علبة السجاير :

من أي عهد في القرى تتدفق؟ وبأي كف في المدائن تغدق ؟
ومن السماء نزلت أم فجرت من : علياً الجنان جداولاً تترقرق؟

واستمر يكتب القصيدة الخالدة التي لم يكتب مثلها عن النيل ، والتي غنتها أم كلثوم ، فبعثت فيها خلوداً فوق خلود .. وفجأة إنهار أمير الشعراء وتهاوى ، ولم تعد ساقاه تستطيعان حمله ، وقال لزكي مبارك :

ـــ احملني

فحمله ، كما يُحمل الطفل ، وعاد به إلى السيارة . ويقول زكي مبارك : إن أمير الشعراء أحمد شوقي طفل ، وإنه أخف في وزنه من ريش النعام وكان شوقي يبكي بك الطفل ويغمغم (من أي عهد في القرى تتدفق) .

وكانت المرة الثانية التي حمل زكي مبارك أمير الشعراء على كتفه هي يوم جنازة شوقي ، فقد تقدم زكي مبارك ، والدكتور أحمد زكي أبو شادي وبعض أعضاء جماعة « أبوللو » الشعرية التي كان شوقي رئيسها ، وحملوا النعش على أكتافهم ، وقال زكي مبارك مرة أخرى : إن نعش شوقي كان أخف من ريش النعام



شوقي وأولاده في سنة ١٩٠٧
وتظهر في الصورة ابنته أمينة ولعله
نظم أشعار
يحبها حباً شديداً .



شوقي ونجلاه عليّ وحُسين
في الحمراء بأسبانيا قبل
عودته من المنفى .

مصادر ومراجع الكتاب

١ ــ مع طه حسين ، سامي الكيالي .

٢ ــ أيام مع طه حسين ، د. محمد الدسوقي .

٣ ــ الحبل على الجرار ، سلام الراسي .

٤ ــ عصاميون عظماء من الشرق والغرب ، أشرف عليه محمد فريد أبو حديد .

٥ ــ الضاحكون ، محمد قره علي .

٦ ــ سير ونوادر ظرفاء وعظماء القرن العشرين ، سيد صديق عبد الفتاح .

٧ ــ قصة حياة ، إبراهيم عبد القادر المازني .

٨ ــ خيوط العنكبوت ، إبراهيم عبد القادر المازني .

٩ ــ المازني ، محمد مندور .

١٠ ــ ميّ حياتها وصالونها وأدبها ، وديع فلسطين .

١١ ــ يحدثونك عن أنفسهم ، ج ١ ، هاني الخيّر .

١٢ ــ مقتطفات من تاريخ دمشق ، حكايات وطرائف وصور ، هاني الخيّر .

١٣ ــ القصائد الأخيرة ، أحمد الصافي النجفي ، تقديم وجمع هاني الخيّر .

١٤ ــ المؤلفات الكاملة ، فؤاد الشايب ، المجلد الثاني .

١٥ ــ الشاعر أحمد الصافي النجفي ، د. إبراهيم الكيلاني .

١٦ ــ أحمد الصافي النجفي ، رحلة العمر ، عبد الله الشيتي .

١٧ ــ مأساة شاعر البؤس : عبد الحميد الديب ، محمد محمود رضوان .

١٨ ــ التماثيل المكسورة ، رجاء نقاش .

١٩ ــ الراحلون ، سامي الكيالي .

٢٠ ــ سيف الدولة وعصر الحمدانيين ، سامي الكيالي .

٢١ ــ مجنون سعاد ، زكي مبارك .

٢٢ ــ صفحات مجهولة من حياة زكي مبارك ، محمد محمود رضوان .
٢٣ ــ ديوان إبراهيم ناجي ، الأعمال الكاملة .
٢٤ ــ ناجي شاعر الوجدان الذاتي ، أحمد المعتصم بالله .
٢٥ ــ أضواء وظلال ، سعاد الهرمزي .
٢٦ ــ النبي ، جبران خليل جبران ، ترجمة يوسف الخال .
٢٧ ــ جبران خليل جبران ، ميخائيل نعيمة .
٢٨ ــ الوجه الآخر لجبران ، رياض حنين .
٢٩ ــ ديوان أحمد شوقي ، المجلد الثاني .
٣٠ ــ صحافة الفكاهة وصانعوها ، د. جمال الدين الرمادي .
٣١ ــ تاريخ يتكلم ، فخري البارودي .
٣٢ ــ عشرة من الناس ، زهير مارديني .
٣٣ ــ عبقريات شامية ، عبد الغني العطري .
٣٤ ــ شخصيات عربية من التاريخ ، رياض نجيب الريس .
٣٥ ــ طرائف وصور من تاريخ دمشق ، هاني الخير.
٣٦ ــ الأدب المقارن ، د. محمد غنيمي هلال .
٣٧ ــ الجاحظ في حياته وفكره وأدبه ، د. منيف موسى .
٣٨ ــ خريف الغضب ، محمد حسنين هيكل .
٣٩ ــ غرام الأدباء ، عباس خضر .
٤٠ ــ عشيات وادي اليابس ، جمع وتحقيق وتقديم زياد صالح الزعبي .
٤١ ــ عشيات وادي اليابس ــ ديوان شاعر الأردن مصطفى وهبي التل ، تصدير محمود السمرة .
٤٢ ــ محاضرات في الشعر الحديث في فلسطين والأردن ، ناصر الدين الأسد .
٤٣ ــ عصر السريالية ، والأس فاولي ، ترجمة خالدة سعيد .
٤٤ ــ سبعون ، ميخائيل نعيمة .
٤٥ ــ ديوان أحمد رامي ، الأعمال الكاملة .

٤٦ ـــ لغز أم كلثوم وكلمات أخرى ، رجاء النقاش .
٤٧ ـــ شخصيات لا تنسى ، مصطفى أمين .
٤٨ ـــ الليل الحب الموت ، أشعار وأفكار ، كامل الشناوي .
٤٩ ـــ كامل الشناوي ، آخر ظرفاء ذلك الزمان ، يوسف الشريف .
٥٠ ـــ بيرم التونسي ، كمال سعد .
٥١ ـــ مذكرات بيرم في المنفى ، بيرم التونسي .
٥٢ ـــ ديوان بدوي الجبل ، الأعمال الكاملة .
٥٣ ـــ بدوي الجبل وإخاء أربعين سنة ، أكرم زعيتر .
٥٤ ـــ الأدب العربي المعاصر في سورية ، سامي الكيالي .
٥٥ ـــ الشعراء الأعلام في سورية ، سامي الدهان .
٥٦ ـــ قضايا الشعر المعاصر ، أحمد زكي أبو شادي .
٥٧ ـــ ديوان عمر أبو ريشة ، الأعمال الكاملة ، المجلد الأول .
٥٨ ـــ يحدثونك عن أنفسهم ج ٤ .
٥٩ ـــ ذكرياتي ، محمد مهدي الجواهري ، الكتاب الأول .
٦٠ ـــ محمد مهدي الجواهري ـــ دراسات نقدية ، بإشراف هادي العلوي .
٦١ ـــ المجمع العلمي العربي في خمسين عاماً (١٩١٩ ـــ ١٩٦٩) .
٦٢ ـــ قصتي مع الشعر ، نزار قباني .
٦٣ ـــ قصائد مغضوب عليها ، نزار قباني .
٦٤ ـــ النرجسية في أدب نزار قباني ، د. خريستو نجم .
٦٥ ـــ جريدة الكلب ، صدقي إسماعيل ، جمعها وحققها أصدقاء المؤلف .
٦٦ ـــ المؤلفات الكاملة ، صدقي إسماعيل ، المجلد الأول .
٦٧ ـــ شخصيات من حياة شوقي ، عبد المنعم شميس .
٦٨ ـــ الأعلام ، خير الدين الزركلي ، المجلد الخامس .

مراجع المجلات العربية

٦٩ ــ العربي العدد (٢٣) .

٧٠ ــ العربي العدد (٢٤) .

٧١ ــ دنيا العرب العدد (٤٢) آذار ١٩٨٨ .

٧٢ ــ الهلال تموز ١٩٥٠ .

٧٣ ــ الهلال كانون الأول ١٩٥٤ .

٧٤ ــ الهلال حزيران ١٩٧٧ .

٧٥ ــ الهلال آب ١٩٧٧ .

٧٦ ــ مواقف العددان (٧١) و(١٨) أيلول وكانون الأول ١٩٧١ .

٧٧ ــ كل العرب العدد (٢١) ١٩ كانون الأول ١٩٨٤ .

٧٨ ــ فيروز تشرين الأول ١٩٨٢ .

٧٩ ــ النهار العربي والدولي العدد (٢٢٧) ١٣ أيلول ١٩٨١ .

٨٠ ــ الحوادث ١٣/٣/١٩٨٧ .

٨١ ــ الحوادث ١٦/٥/١٩٨٦ .

٨٢ ــ الدستور ١٤/١٢/١٩٨٧ .

٨٣ ــ الهلال أيار ١٩٧٧ .

٨٤ ــ الوطن العربي العدد (٢٢٩) .

٨٥ ــ المجلة العدد (٣٩١) ١١/٨/١٩٨٧ .

٨٦ ــ آخر ساعة ٢/٧/١٩٤٨ .

من مؤلفات هاني الخيِّر المطبوعة

١ ـــ دراسات في التراث العربي .
٢ ـــ تراث ومعاصرة .

٣ ـــ يحدثونك عن أنفسهم ج١ .
٤ ـــ يحدثونك عن أنفسهم ج٢ .
٥ ـــ يحدثونك عن أنفسهم ج٣ .
٦ ـــ يحدثونك عن أنفسهم ج٤ .
٧ ـــ اسرار مثيرة من العالم ط ٢ .
٨ ـــ جرائم عالمية ـــ أرشيف الجرائم الغامضة .
٩ ـــ أشهر الاغتيالات السياسية في العالم ج١ ، الطبعة الثامنة .
١٠ ـــ أشهر الاغتيالات السياسية في العالم ج٢ ، الطبعة الرابعة .
١١ ـــ أشهر الاغتيالات السياسية في العالم ج٣ ، الطبعة الثالثة .
١٢ ـــ أشهر الاغتيالات السياسية في العالم ج٤ .
١٣ ـــ أشهر الاغتيالات السياسية في العالم ج٥ .
١٤ ـــ حرب الاغتيالات السياسية والمؤامرات الصامتة ، الطبعة الثانية .
١٥ ـــ الأصابع الخفية ضد الأهداف البشرية .
١٦ ـــ الموتى يتحدثون، ريبورتاج صحفي عن الموت .
١٧ ـــ هذا أنت أيها الموحش ، حكايات ساخرة .
١٨ ـــ الرسالة اللازوردية في موت الأولاد ، للإمام السيوطي ، تحقيق .
١٩ ـــ الروض العاطر في نزهة الخاطر ، للشيخ النفزاوي ، تحقيق ، ط ٢ .
٢٠ ـــ القصائد الأخيرة ، أحمد الصافي النجفي ، تقديم وجمع .

٢١ ــ من تراث الشيخ عبد الرحمن الخيِّر ، تقديم واختيار وجمع .
٢٢ ــ طرائف وصور من تاريخ دمشق .
٢٣ ــ مقتطفات من تاريخ دمشق ــ حكايات وطرائف وصور .
٢٤ ــ مشاهير وظرفاء القرن العشرين .
٢٥ ــ بطولات على الورق ــ حكايات ساخرة من صميم الحياة (قيد الطباعة) .

الفهرس